الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
ⴰⵏⴰⵡⴰⵙ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵉⵜ ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⴰⵢⵔ
ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵉⵜ ⴷ ⵜⵙⵙⵏⵜⵉⵔⵜ ⵜⵜⵓⵔⵉⵜ
ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵉⵡⵉⵜ ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⴰⵢⵔ

جامعة مولود معمري، تيزي–وزو
كلية الآداب واللّغات
قسم اللغة العربية وآدابها

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
DEPARTEMENT DE LANGUE ET LITTERATURE ARABES

الرقم: ...../...../2020

رقم الترتيب:

الرقم التسلسلي:

مذكرة التخرج لنيل شهادة ماستر (ل.م.د)

الميدان:لغةوأدب عربي.

الفرع: لغة وأدب عربي.

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر.

خطاب التحرر في رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" لبثينة العيسى

إعدادالطالبتين:

–ديهية مزاري.

– سميرة بن أوسد.

إشراف الأستاذة:

–د. نسيمة لعداوي

أعضاء لجنة المناقشة

الأساتذة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
د/ نسيمة لعداوي	أستاذة محاضرة(أ)	جامعة تيزي وزو	مشرفا ومقررا
أ.د/ بوجمعة شتوان	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيزي وزو	رئيس لجنة
د/ فريدة رافل	أستاذة محاضرة(أ)	جامعة تيزي وزو	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2019–2020

إهــداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا من نزلت في حقهم الآيتين الكريمتين في قوله تعالي أهدي هذا العمل التواضع إلىأمي و أبي العزيزين حفظهما الله لي اللذين سهرا وتعبا على تعليمي في إتمام هذا العمل من قريب أو بعيد وإلىأفرادأسرتي عيسى –سيهم– أعمر– صونية يرحمها الله– ليزة–ويزة –،سندي في الدنيا ولا أحصي لهم فضل إلى أستاذتي الفاضلة نسيمة لعداوي،وإلى رفاق الدرب. وفيالأخير ارجوا من الله تعالى أن يجعل عملي هذا نفعا يستفيد منه الجميع الطلبة المتربصين المقبلين على التخرج.

ديهية مزاري

إهــداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا من نزلت في حقهم الآيتين الكريمتين في قوله تعالي اهدي هذا العمل التواضع إلىأمي وأبي العزيزين حفظهما الله لي اللذين سهرا وتعبا على تعليمي في إتمام هذا العمل من قريب أو بعيد وإلىأفرادأسرتي،سندي في الدنيا ولا أحصي لهم فضل إلى أستاذتي الفاضلة نسيمة لعداوي. وفيالأخير أرجوا من الله تعالى أن يجعل عملي هذا نفعا يستفيد منه الجميع الطلبة المتربصين المقبلين على التخرج.

سميرة بن أوسد

مقدمـــة

مقدمة:

المرأة هي نصف المجتمع فهي أيضا أنجبت النصف الآخر وإنّ الدفاع عن حقوقها هي ضرورة، فالنساء كفئة اِجتماعية تقع عليهن مشاكل وأزمات المجتمع مرتين، مرة من المجتمع ومرة من الرجال المحملين بالمشاكل والهموم، لذلك أنّ كافة الدراسات تؤكد على أن القمع الذي يقع على المرأة هو قمع مزدوج وأن المرأة في المجتمعات المتخلفة تعاني من مشكلة الحرية التي تفرض عليها قيود تكبل حريتها وحركتها، فمنذ الصغر نجد أن حرية الحركة للصبيان أكثر من حرية الحركة للبنات بسبب الخوف أو التحذير من العادات والتقاليد وترتبط مشكلة الحرية بنظرة هذه المجتمعات المتخلفة كأن المرأة نوع، فهي عند البعض كائن إمكانياتها محدودة وعند البعض محدودة الأهلية لذلك، فهي في هذه المجتمعات بحاجة دائمة لحماية الرجال وقيود الرجال وتعليمات الرجال وعمال الرجال وبذلك تصل إلى حالة عدم المساواة وتقل الفرص المتاحة أمامهن وإلى كثرة تدخل الرجال في اِختيارات النساء على أساس وإدعاء القواعد والتقاليد والأعراف الموروثة في الزواج والطلاق والتعليم والعمل وعندما تتفاعل مشكلة الحرية واللامساواة لتظهر مشكلات التميز ضد النساء في الوعي الاجتماعي وفي الواقع العملي وتزداد الدعوات التي تنادي بعودة المرأة للبيت وترك العمل وعندما يستمر الحال من التميز ضد النساء فإن هذا الشعور يصل إلى السلوك اجتماعي يأخذ شكل عنف ضد النساء إن كل هذا العنف معنويا ماديا فأنه يسبب الأذى النفسي للمرأة، إضافة إلى ما ذكرنا من مشاكل فالمرأة مشاكل في التعليم وفي اختيار تخصص الذي ترغب به لاسيما في البلدان العربية لا زالت تعاني من بعض السلبيات التي تعيق عملها في المجتمع وأن سبب هذه المعوقات عدم إدراك بأهمية المرأة في مجتمعنا طبعا من قبل قلة الرجال، وأيضا الاعتقاد أن دور المرأة ينحصر في البيت وإنجاب الأبناء والطبخ فقط، وهناك الكثير من الرجال إذا المرأة تجادلت معه قال عنها أنها عنيدة وناقصة عقل، وإذا جلست ساكتة قال عنها أنها غامضة وإذا أخبرته عن مشاكلها قال عنها أنها مزعجة

وإذا لم تخبره قال أنها لا تثق به، وإذا نجحت المرأة في عملها قال أنه الحظ فقط، أما إذا نجح هو قال أنه ذكاؤه وإذا جرحته المرأة قال قاسية وإذا جرحها قال أنها حساسة جدًا، فيجب علينا الاعتراف بحقها وبأنها تستطيع أن تقدم الكثير وأيضا في جُعبتها الكثير لتقدمه للمجتمع فلا تطوير أو تغير اجتماعي بدون تحرير النساء ولا تطوير أو تغيير بعض المعتقدات والقيم الاجتماعية والثقافية بدون تحرير نصف المجتمع (أي المرأة).

رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" واحدة من الروايات "الخليجية" التي تسعى لفرض نفسها في الساحة الأدبية، واستقطاب أكبر عدد من القراء بفضل لغتها الشعرية وتقنياتها السردية وتعبيرها عن قضايا التحرر عند المرأة.

بالعودة إلى ما سبق، ما هي رؤية المرأة الخليجية لفكرة التحرر؟ وكيف أثرت أفكار النسوية على المرأة الخليجية رغم اختلاف العادات والتقاليد وتباين الثقافات داخل المجتمعات العربية؟

رغبتنا في البحث عن أجوبة لهذا التساؤلات هو ما دفعنا إلى الاهتمام بهذه الرواية دون غيرها لاعتقادنا أنه نص خصب يسمح لنا بدراسته دراسة معقمة تبرز خصوصيته، فكانت دراستنا للموضوع دراسة تطبيقية حاولنا من خلالها إسقاط خطوات المنهج التحليلي الوصفي على الرواية، لإبراز مدى تعبيرها عن قضايا التحرر عند المرأة داخل مجتمعنا العربية ليستقر البحث بذلك تحت عنوان "خطاب التحرر" في الرواية كبرت نسيت أن أنسى.

اعتقادًا منا أن رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" لم تحظ بدراسة شاملة ووافية، من شأنها أن تبرز مدى تصوير هذه الرواية لقضايا التحرر في المجتمعات العربية الذكورية وهذا ما زاد من إصرارنا ورسخ الفكرة أكثر فأكثر، وكما اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع الهامة التي أفادتنا وكانت على شكل مذكرات وكتب مثل: كتاب عبد الله الغذامي "المرأة واللغة"، نوال السعداوي "دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي"، رشيدة بن مسعود "المرأة واللغة سؤال الخصوصية"، حسين مناصرة، "النسوية في الثقافة

والإبداع"، سارة جامبل" النسوية وما بعد الحداثة"، رياض القرشي"النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب"...وغيرها من المراجع و الكتب التي أفادت البحث.

حاولنا في هذه الدراسة أن نتبع خطوات المنهج التحليلي والوصفي الذي يعتبر المنهج المناسب لتحليل قضايا التحرر عند المرأة وكما تصف معاناة المرأة داخل الرواية، مع استعانة طفيفة بالمنهج النفسي لتفسير أو تحليل بعض المواقف بين الرجل والمرأة.

إستنادا إلى عنوان البحث إرتأينا أن نقسم بحثنا إلى فصلين، حيث عرضنا في الفصل الأوّل جانب النظري المعنون الأدب النسوي بين المفهوم وتعدد المصطلح، مفهوم الأدب النسوي، ثم حديثا عن إشكالية المصطلح عن الأدب النسائي والأدب النسوي والأدب الأنثوي.

في الأخير الفصل خصصناه بالدراسة الأدب النسوي بين القبول والرفض وسلطنا الضوء على بعض النقاد ومواقفهم من المصطلح.

أما الفصل الثاني فقد خصصناه لعرض أهم ما توصلنا إليه بدراستها التطبيقية من جوانب تمس المرأة داخل الرواية، وسعيها نحو التحرر لذا اخترنا عبارة "قضايا التحرر عند المرأة في الرواية كبرت ونسيت أن أنسى" لتكون عنوانا لهذا الفصل، والذي افتتحناه بالتعريف بالروائية وتمهيد، حاولنا فيه تقديم ملخص للرواية، لنحصل بذلك على مجموعة من العناوين الرئيسية وفق الترتيب التالي:

تحرر المرأة من السلطة الذكورية ثم تحرر المرأة من المنظومة الدينية وتحرر المرأة من العادات والتقاليد وتحرر المرأة من الزواج وأخيرًا تحرر المرأة عن طريق الكتابة (الشعر).

أما الخاتمة فكانت عبارة عن حصيلة لأهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها، من خلال البحث، استنادًا إلى فصوله السابقة، وفيما يخص الصعوبات التي واجهتنا، فبعد أن تخطينا الجزء النظري واجهتنا بعض الصعوبات في الجزء التطبيقي، لأن المعلومات

النظرية شيء وتطبيقها على أرض الواقع شيء آخر مختلف تماما، إلى جانب عامل الخوف الذي حال دون انجازنا للبحث، لذا كان لزاما علينا تخطي هذا الحاجز والانطلاق في العمل، بفضل إسرارنا ورغبتنا الشديدة في الكشف عن خبايا الرواية، إضافة إلى ما ذكرناه صعوبات التنقل بين المكتبات الجامعة بسبب فيروس كورونا وقلة المصادر والمراجع.

وفي الأخير إن كان من واجب الباحث الشكر والعرفان فإننا ندرك جيدا بأن الشكر لا يوفيه حقها، وقد كانت دعامة لأفكار البحث ومصدرا منيرا في إنجازه، فلها منا جزيل الفضل والشكر وجزاها الله في المستقبل خيرا وفيرا وعلما كثيرا الأستاذة المحترمة "نسيمة لعداوي" التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها، وللأساتذة أعضاء اللجنة المناقشة، فهذا بحثنا بين أيديكم لا يخلو من النقائص، فإذا أصبنا فمن الله وإذا أخطأنا فمن أنفسنا، ولا ندعي الوصول إلى نتائج نهائية، فحسبنا لفت الانتباه إلى مثل هذا الموضوع وطرح المزيد من الأسئلة.

الفصل الأول

الأدب النسوي بين المفهوم وتعدد المصطلح

الفصل الأوّل

الأدب النسوي بين المفهوم وتعدد المصطلح

I- مفهوم الأدب النسوي.

II- إشكالية المصطلح.

1- الأدب النسائي.

2- الأدب النسوي.

3- الأدب الأنثوي.

III- الأدب النسوي بين القبول والرفض.

1- موقف القبول.

2- موقف الرفض.

I-مفهوم الأدب النسوي:

تعتبر الكتابة ممارسة إبداعية، فمن خلالها سنحت للمرأة الفرصة لتعبير عن ذاتها وإثبات وجودها من خلال طرحها لقضايا عبر الكتابة.

ومن هنا استطاعت أن تخلص نفسها من القيود التي فرضت عليها من قبل السلطة الذكورية، ولعل هذا ما جعل المرأة تحاول بجرأة أن تفك تلك القيود وأن تتحرر من خلال أفكارها وتنشأ لغة خاصة بها.

إضافة على ذلك سعيها إلى إسماع صوتها، وسط مجتمع ذكوري يعمل على قهرها وقمعها، وبالتالي قد ظهر لنا ما هو متعارف عليه في الساحة الأدبية "بالأدب النسوي". فهذا المصطلح يحمل إشكالية نظرًا لعدم الاستقرار على مفهوم واحد، إذ تعددت الآراء لدى الدارسين والنقاد وتضاربت في قضايا عديدة مرتبطة بالمصطلح تسميته ومفهومه، فنجد من يطلق عليه "الأدب النسوي"، "الأدب النسائي"، "الأدب الأنثوي" فالأدب النسوي يحمل مفاهيم متعددة.

تقول في هذا الصدد "زهور كرام": «على الرغم من تداول مصطلح الإبداع النسائي بشكل كبير في اللقاءات والملتقيات الثقافية وانتشار استعماله سواء من خلال القبول أو الرفض، فإن هذا الاستعمال ما يزال غامضا ومبهما، ويتم تناوله في غياب تحديد مرجعيته النظرية. لذا فإن هذا التعبير يضيع مع مجموعة من الاستعمالات، هل نعتبر الإبداع النسائي كل ما ينتجه قلم المرأة؟ أم أن ما يطلق عليه الإبداع النسائي هو مفهوم أدبي لا يشمل كل الكتابات التي تصوغها المرأة، بل فقط ذلك الكتابات التي تشخص خصوصية المرأة "الحساسية الأنثوية" من حيث السّيمات المميزة لها؟»[1].

[1]- زهور كرام، السرد النسائي العربي، مقاربة في مفهوم والخاطب، شركة النشر والتّوزيع المدارس، ط1، الدار البيضاء، 2004، ص 65.

إذن على الرغم من تداول مصطلح في الساحة الأدبية بشكل واسع إلاّ أنه مازال يحمل في طيته غموضا شديد، هذا راجع لعدم وجود مرجعية نظرية يستند إليه، مما يصعب تحديد مفهومه.

تؤكد زهور في هذا السياق حول الاهتمام بالمصطلح في الساحة الأدبية العربية، تقول: «غير أنّ الإبداع النسائي كمصطلح واشتغال نقدي بدأ الاهتمام به تقريبا منذ الخمسينات، ومعظم الدراسات تجعل رواية "ليلى بعلبكي "أنا أحيا" الصادرة سنة 1985 بداية للإصغاء إلى الكتابة المرأة انطلاقا من العنوان الذي جاء مثيرًا بفعل ضمير المتكلّم "أنا". ومنذ منتصف الثمانينيّات فقد أعيد طرح المصطلح من جديد، وبشكل مكثّف وعبر صيّغ متعدّدة منها الدّراسات واللّقاءات والندوات الثقافية التي نشطت، خاصة مع التسعينات والّتي تخصّ محورها العام لهذا الاستعمال قصد معاينة مصداقيته وخصوصيته بالنّسبة للكتابة بشكل عام، وعلاقته بالمرأة بشكل خاص»[1].

إذن نلاحظ أن المصطلح عند زهور كرّام بدأ الاهتمام به منذ الخمسينات، أي صدور أوّل إبداع نسائي.

يتمثل في الرواية "ليلى بعلبكي" بعنوان "أنا أحيا" في سنة 1958 هنا بدأ البحث حول خصوصية الكتابة النسائية.

في حين نجد الناقد "عبد الله الغذامي" الذي يعطي مفهوم آخر للكتابة النسائية. يقول: «هناك نساء كثيرات كتبن بقلم الرجل ولغته وبعقليته، وكن ضيفات أنيقات على صالون اللغة، إنهن نساء استرجلن وبذلك كان دورهن دورًا عكسيًا، إذ عزز قيم الفحولة في اللغة. من هنا تصبح كتابة المرأة، اليوم ليست مجرد عمل فردي من حيث التأليف أو من حيث

[1]– زهور كرام، السرد النسائي العربي مقاربة في مفهوم والخطاب، ص 22– 23.

النوع، إنها بالضرورة صوت جماعي، فالمؤلف هنا وكذلك اللّغة هما وجودانثقافيان فيهما تظهر المرأة بوصفها جنسيًا بشريًا ويظهر النص بوصفه جنسًا لغويًا»[1].

إذن يشترط الغذامي في تعريفه أن تكون لغة المرأة تجسدًا لذاتها وفكرها، وأيضا تبرز خصوصيتها من خلال كتابتها (الكتابة)، حيث تصدر عن وعي وإدراك للظروف الاجتماعية والثقافية التي عاشتها، أي ينبغي أن تظهر من خلال لغتها بأنها تمثل صوتًا جماعيًا لا فرديًا يطالب بالحريّة.

وتشير "بسام موريس" في تعريفها للأدب النسوي: «مفهوم سياسي مبني على مقدمتين أساسيتين هما:

1- إن بين النوعين مؤسسة تقوم على عدم المساواة بين النساء والرجال وتعاني النساء بسببها من انعدام العدالة في النظام الاجتماعي.

2- أن انعدام المساواة بين الجنسين ليس نتيجة لضرورة بيولوجية، لكنه ناتج عن الفروق التي تنشئها الثقافة بين الجنسين»[2].

إذن نفهم من تعريفها أن مصطلح الأدب النسوي ذات طابع سياسي، أي أنه يحمل فكر سياسي، مما ولد التفرقة بين الجنسين ليس بسبب الجنس ولكنّ يعود ذلك إلى المنظومة الثقافية التي نشأ عليها المجتمع، لهذا السبب أدى إلى عدم المساواة بينهما.

تُعرف "هالة كمال" الأدب النسوي، تقول: «إنّ كلمتي "النسوية" [بصيغة الصفة أو الاسم] هما صيغتان سياسيتان تشيران إلى موقف داعم لأهداف الحركة النسائية الجديدة التي نشأت في أواخر الستينات من القرن العشرين»[3].

---

[1]- عبد الله الغذامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1996، ص 122.

[2]- بسام موريس، الأدب والنسوية، تر: سهام عبد السلام، مرا: سحر صبحى عبد الحكيم، المجلس الأعلى للثقافة القاهر، ط1، 2002، ص 29.

[3]- هالة كمال، النقد الأدبي، سلسلة ترجمات نسوية، مؤسسة المرأة والذاكرة، (د.ب)، ط1، 2005، ص 203.

إذن نلاحظ أنّ "هالة كمال" هي الأخرى تعرف المصطلح الأدب النسوي بأنه يحمل في داخله فكرًا سياسيًا، وغايته من ذلك هو التعبير عن قضايا المرأة سواء الثقافية أو السياسية، مما ساهم في تدعيم الحركة النسائية في تحقيق أهدافها.

II- إشكالية المصطلح:

إنّ مصطلح الأدب النسوي من المصطلحات الأكثر جدالاً في الساحة الأدبية والنقدية العربية، مما يحمله من إشكالية يستعصى حلها، نظرًا لعدم الاستقرار على مفهوم واحد، لذا استدعى اهتمام الكثير من الباحثين إلى دراسته وإثارته في أبحاثهم من أجل كشف عن اللبس الموجود في داخله لاسيما أنه نابع من خصوصية المرأة وما يحمله من قضايا تخص المرأة عامة والمرأة العربية خاصة.

تقول الناقدة "رشيدة بن مسعود" في هذا الصدد: «تكون الأهمية النقدية لمثل هذا المصطلح ضئيلة جدًا، اللّهم إلاّ إذا انطوى مفهومه على اِعتقاد بأنّ الإنتاج الأدبي للمرأة يعكس بالضرورة مشكلاتها الخاصة، وهذا هو المسّوغ الوحيد الذي يمكن أن يكسب مصطلح (الأدب النسوي) مشروعيته النقدية»[1].

فحسب الناقدة مصطلح الأدب النسوي ما زال في بدايته وأنه لم يحظى بالاهتمام بالقضايا التي تخص المرأة والتي تعكس مشاكلها وتحاول طرحها عبر كتاباتها، وفي حين تشير بأن مصطلح الأدب النسوي في بداية الأمر نال نوعًا ما قبولاً، إلاّ أنه سيزول تدريجيًا حتى يصبح في الأخير مرفوضًا تمامًا، بحجّة أنّ هناك الكُتاب من يكتبون عن المرأة وعن القضايا الخاصة بها.

حيث «ظهرت تسميات أخرى للأدب النسوي ابتكرها الغرب ووصلت إلينا، إذ ظهرت في السويد تسمية هذه الكتابات بأدب (الملائكة والسكاكين)، وهو ما قلده أنيس منصور حين أطلق على ما كتبته المرأة (أدب الأظافر الطويلة). كما سماه إحسان عبد القدوس (أدب

[1]- رشيدة بن مسعود، المرأة والكتابة (الاختلاف وبلاغة الخصوصية)، إفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، ط2، 2002، ص 78.

الروج والمانكير) إذ رأى فيه أدبا صوتيا وشكليا تعتني المرأة فيه بالتأثير الرنيني والتخيلي عن طريق اختيار الجملة والعبارة دون التدقيق في الموضوع»[1].

إذن ما نلاحظه في هذه التسميات المختلفة، مرتبطة ومأخوذة من عالم المرأة.

في حين يرى الناقد "سعيد إدوارد" خلاف ذلك، يقول: «فالأدب الذي تكتبه امرأة أسميه ببساطة: كتابة المرأة، أو الأدب النسائي، أما الأدب الذي يعبّر عن موقف محدد عقائدي ينبع من التعلّق بما يعتقد صاحبه أو تعتقد صاحبته بأنّه سمات خاصة بالأنثى ورأياها للعالم وموقعها فيه، فإنّني أسميه أدبًا أنثويًا»[2].

إذن يرى "سعيد إدوارد" أنّ الأدب الذي يكون من إنتاج امرأة يسميه بالأدب النسائي، أما الأدب الذي يعبر عن مواقف وأفكار وقضايا تخص الأنثى سواء كان كاتبه رجلاً أو أنثى ويحمل ميّزة أو خصوصية خاصة بأنثى فيسميه مباشرةً بالأدب الأنثى.

في حين ترى الناقدة "بثينة شعبان" أنها لا تفرق بين الكتابة النسائية والكتابة الرجالية، تقول: «لقد رفضت دائما التمييز بين الكتابات النسائية وكتابات الرجال رغم شعوري بأن النساء والرجال يكتبون بشكلمختلفة»[3].

إذن نلاحظ أن الناقدة ترفض تماما التصنيف المصطلح وتؤكد أنها لا تميز بين ما يكتبه الرجل وما تكتبه المرأة، على الرغم أنّ كل واحد يكتب بشكل مختلفة عن الأخرى أي أن كلّ واحد منهما يمتلك خصوصية ينفرد بها عن الأخرى.

كما نجد تسميات أخرى "للأدب النسوي وهي الأكثر إستعمالاً وشيوعًا في الساحة الأدبية والنقدية، فنجد من يطلق عليه "الأدب النسوي" أو "الأدب النسائي" أو "الأدب الأنثوي". «فهذه القضية غالبًا ما ينتج عنها إشكالية في استعمال المصطلحات، فنقرأ

[1]– أحلام معمري، إشكالية الأدب النسوي بين مصطلح واللغة، مجلة مقاليد، ورقلة، ع2، ديسمبر 2011، ص 47.

[2]– سعيد إدوارد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة، كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط2، 1992، ص 52– 53.

[3]– بثينة شعبان، مائة عام من الرواية النسائية العربية 1899– 1999، دار الآداب، بيروت، ط1، 1999، ص 24.

المصطلح في كتب بدلالة مغايرة لماهي عليه في كتاب آخر، والغريب أن نجد الباحث نفسه يستعمل المصطلحات دون تمييز بين دلالتها المختلفة»[1].ولذا نجد فوضى في استعمال المصطلحات وهذا ما نلاحظه في العديد من الكتب والبحوث، فالكاتب أو الباحث نفسه يستعمل أكثر من مصطلح أي أكثر من تسمية وكل تسمية تحمل معاني أي دلالات مختلفة عن الأخرى.

وفي نفس السياق نجد عدة محاولات تدعو إلى تحديد الفرق بين كتابة (نسائية، نسوية وأنثوية) نتيجة " أن مظاهر التشابك والالتباس بين النص المؤنث والكتابة النسائية واردة أيضا، ويعزي ذلك إلى صعوبة تمثل المؤنث منفصلا عن النساء، رغم أن المؤنث يبدو أقرب للبيولوجي بينما يبقى مصطلح نسائي منفصلا عن النساء رهين صفة التخصيص، وتعيين مبدأ ارتباط النص بجنس كاتبه، أي من الخارج "[2].

من خلال هذا التعريف يتضح لنا إلزامية تحديد مصطلح الأدب النسوي من أجل فك الغموض الموجود بين المصطلحات.

[1]– عامر رضا، الكتابة النسوية العربية من التأسيس إلى إشكالية المصطلح، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، معهد اللّغة الأدب العربي، المركز الجماعي ع، الحفيظ بوالطوف، ميلة، ع15، جانفي 2016، ص 04–05.

[2]– سعيدة بن بوزة، الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، رسالة دكتورة، إشراف الطيب بودرالة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2007–2008 ، ص 43– 44.

1- الأدب النسائي:

تعتبر الكتابة النسائية ملجأ المرأة للبوح عن مشاكلها فقط ولا تتبنى فيها أي موقف مسبق من الرجل إلاّ سوى تلك المواقف التي يفرضها السياق.

تعرف أحلام معمري الأدب النسائي «فإنّ الأدب النسائي لا يعني بالضرورة أنّ اِمرأة كتبته بل أنّ موضوعه نسائي»[1].

ويفهم من خلال هذا التعريف أنّ الاهتمام بما تكتبه المرأة واعية بذاتها وثقافتها وتبعد كل المقولات التي تكبل جماحها، فالمرأة مستقلة وواعية، فالأدب النسائي ليس بالضرورة المرأة التي كتبته قد يكون رجل أو اِمرأة.

في حين يرى عامر رضا مصطلح "الأدب النسائي" يحيل على معنى «التخصيص الموحي بالحصر والانغلاق في دائرة جنس النساء، وما تكتبه النساء من جهة نظر النساء سواء أكانت هذه الكتابة عن النساء أم عن الرجال أم عن أي موضوع آخر»[2].

إذن مصطلح الأدب النسائي مرتبط بالجنس المرأة، والذي يتناول قضاياها وقضايا الرجل، إضافة إلى قضايا أخرى.

[1]- أحلام معمري، إشكالية الأدب النّسوي بين المصطلح واللّغة، مجلة مقاليد، ع2، ديسمبر 2011، ص 48.

[2]- عام رضا، الكتابة النسوية العربية من التأسيس إلى إشكالية المصطلح، ص 05.

2- الأدب النسوي:

ساهمت الكتابة النسوية ببروز المرأة كمبدعة تحاول دائمًا إثبات ذاتها وإبراز الهوية الأنثوية، إذ عرفت تطورًا بعدما كان دورها يتمحور فقط في الإنجاب والتربية الأبناء أي أنها كائن وظيفي يخضع لسلطة الذكورية، أما الآن أصبحت عنصرًا فعالاً في المجتمع تسعى إلى إبراز مكانتها وذلك عبر الكتابة، حيث استطاعت الإبداع في المجالات التي يعتبر فيها الرجل نفسه ربًا لها.

وفي هذا السياق يقول: "عبد الله غذامي"«إن توظيف المرأة للكتابة وممارستها للخطاب المكتوب بعد عمر مديد من الحكي والاقتصار على متعة الحكي وحدها يعني أننا أمام نقله نوعية في مسألة الإفصاح عن الأنثى، إذ لم يعد الرجل هو المتكلم عنها، والمفصح عن حقيقتها وصفاتها كما فعل على مدى قرون متوالية، ولكن المرأة صارت تتكلم وتفصح وتشهر عن إفصاحها هذا بواسطة (العلم)، هذا القلم الذي ظل مذكرًا وظل أداة ذكورية»[1].

إذن من الطبيعي أن تحاول المرأة أن تكتب عن نفسها وأن تتميز بأدب خاص بها يحمل مشاكلها ومعاناتها.

في حين يرى عامر رضا، مصطلح "الأدب النسوي/ النسوية" بات الأكثر دلالة إلى حد كبير على خصوصية ما تكتبه المرأة في مقابل ما يكتبه الرجل «فالنسوية تمثل وجهة نظر النساء بشأن قضايا المرأة وكتاباتها وما تحمله من خصوصيات»[2].

إذ نلاحظ في هذا التعريف أن المرأة لها رؤية خاصة اِتجاه قضايا جنسها وما تتميز بها من كتابات عن شؤونهن خلافا للرجل.

[1]- عبد الله الغذامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1996، ص 08.

[2]- عامر رضا، الكتابة النسوية العربية من التأسيس إلى إشكالية المصطلح، ص 06.

تذهب "سارة جامبل" إلى أنّ النسوية تعني «الاعتقاد بأنّ المرأة لا تعامل على قدم المساواة –لا لأي سبب سوى كونها امرأة– في المجتمع الذي ينظم شؤونه ويحدد أولوياته حسب الرجل واهتماماته»[1].

نفهم من خلال هذا التعريف أنّ معاملة المرأة لا تكون لكونها المرأة كجسد، وإنّما لكونّها امرأة ذات تفكير وثقافة وعلم بعيدًا عن الرؤية السلبية لها من طرف الرجل.

يعد مصطلح الأدب النسوي من المصطلحات المتشعبة، متعدد السميات والآراء فيها، وترى "سارة جامبل" في كتابها "النسوية وما بعد النسوية" «يشير مصطلح النسوية إلى أي محاولة لتحدي النظام الأبوي[2] في أي صورة كانت»[3].

ويظهر لنا من خلال تعريفها هذا أنّ النسوية هي مرادف للتمرّد النسوي على العنصر الذكوري التسلطي.

في حين يعرف الدكتور "حسين مناصرة" للأدب النسوي من خلال كتابه "النسوية في الثقافة والإبداع".

حيث يقول: «هو القيمة الثقافية للأدبية التي محورت خصوصية المرأة في الكتابة من خلال خصوصيات موقعها الاجتماعي والتاريخي واللّغوي، ممّا استدعى وجود كتابة نسوية معاصرة مختلفة في رؤاها وجماليتها، تؤسس لإعادة قراءة الأنثوية ذلك الغريب فنيًا»[4].

---

[1]– رياض القريشي، النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، دار حضرة موت للدراسات والنشر، اليمن، ط1، 2008، ص 62.

[2]– النظام الأبويptriarychy: نظام معرفي في الثقافة الغربية يعني: سلطة الأب، الرجل في الأسرة والمجتمع أو الكنيسة، ويعود في أصله إلى آباء القبائل، الإسرائيلية، بوصفه يقوم على مرجعية (توراثية) ثم في العهد الجديد الإسرائيلية، بوصفه يقوم على مرجعية (توراثية) ثم في العهد الجديد أصبح يدل على موقع نشر في أساقفة الكنائس (بطريك)patrisch ينظر: – رياض القرشي: النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، حضر موت لدراسات والنشر، ط1، 2008، ص 64.

[3]– سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، تر: أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002، ص 22.

[4]– حسين مناضرة، النسوية في الثقافة والإبداع، دار الكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2008، ص 77.

يظهر أنّ "حسن مناصرة" من خلال طرحه هذا قد وضع الإبداع الأدبي في ما يكتب عن المرأة ككيان مستقل في خصوصياته الاجتماعية، والتاريخية واللّغوية، وهذا ما بين طبيعتها الأنثوية، والتي وصفها بالغربية فنيًا عما ينتجه الرجل.

وترى الناقدة الأمريكية "توريلموي" أنّ النّسوية «هي الكتابة التيتتخذ وموقفا واضحا ضد الأبوية وضد التمييز الجنسي»[1].

ويلاحظ من خلال هذا التعريف مدى سعي المرأة على التحرّر من قيود الأبوية التي وضعها المجتمع الذكوري. كما اِتخذت الكتابة وسيلة تساعدها على التحرر، واستقلالها بذاتها وكتاباتها، إطلاق مصطلح النسوية.

ويحدد الباحث "حسين مناصرة" مصطلح الكتابة النسوية بوصفها:"مصطلحا جديدا، لافتا للنظر،له طبيعة جمالية تنبعث من خصوصية حياة المرأة الذاتية وعلاقاتها الاجتماعية. فهي مع هذا المصطلح خرجت من عصر الحريم المحجوب إلى عصر القلم باحثة عن الحرية فقد كانت تعيش في الحريم حياة ترسمها صور الغانيات والجواري، والرجال لا يراها إلا متعة له يبعدها عن ضياء العلم و الحرية، ويحيطها بسياج كثيف من الجهل والجمود، فلا يظنها أهلا لأي حق من الحقوق الإنسان ثم إذا بها تواجه الدعوة لتحريرها علت بها الأصوات فوق المنابر، وفي صفحات الكتب في الشام وفي مصر،وإذا بها تبدأ طريقها إلى المدرسة، فإذا مضت في خطواتها تواجه الحياة لا تلبث أن تصطدم بكثير من المتاعب والآلام والأحداث والأزمات وإذا بها تجد قلمها لتطور حياتها وآلامها"[2].

فالباحث يرى أن مع ظهور مصطلح النسوية خرجت المرأة من حياة العبودية التي وضعها فيها الرجل الى حياة العلم والمعرفة والتحرر من قيود المجتمع التي كبلتها لفترة من الزمن.

[1]– حسين مناضرة، النسوية في الثقافة والإبداع، ص 99.

[2]– المرجع نفسه، ص 66.

أما إحسان عبد القدوس فقد سماه أدب الروج والمانيكير إذ رأى: "فيه أدبا صوتيا وشكليا تعنى المرأة فيه أدبا صوتيا وشكليا تعتني المرأة فيه بالتأثير الرنيني والتخيلي عن طريق اختبار الجملة والعبارة دون التدقيق في الموضوع"[1].

نفهم من خلال هذا التعريف أي إن المرأة تعتني فيه بالمظهر والشكل أكثر من المعنى،إضافة إلى جميع هذه المصطلحات المؤثرة والتي تحدث وقعا في نفسية القارئ. وجميع هذه المصطلحات تحيلنا إلى صفة المرأة الضعيفة والمستلبة التي لازالت لم تعرف تحديد الحوار بعد.

[1]– حسين مناضرة، النسوية في الثقافة والإبداع، ص 208.

2- الأدب الأنثوي:

يعتبر الأدب الأنثوي الأدب الذي يكشف الذات الأنثوية ويتميز بالرقة والضعف، فهو يدل على الوظيفة البيولوجية.

تعرف "سارة جاميل" في كتابها "النسوية وما بعد النّسوية" إلى مصطلح "الأنثوية" فاعتبرته.

«مصطلح يقتصر استخدامه على نوع معيّن من الكتابة النقدية النّسوية التي نبعت من نسوية الناقدات الفرنسيات... والاعتقادات هناك مجالا لإنتاج النصوص يمكن أن يسمى "أنثويا"، ولكّنه مستتر تحت سطر الخطاب المذكر ولا يظهر إلاّ من آن لآخر»[1].

نفهم من خلال هذا التعريف أن مصطلح الأدب الأنثوي يطلق بعض نسوية منها الناقدات الفرنسيات.

وفي تعريف آخر لغذامي يقول:«إنهن يكتبن بقلم الرجل وبلغته وبعقليته، ولكن ضيفات على صالون اللغة، إنهن نساء استرجلن، وبذلك كان دورًا عكسيا، إذ عززن قيم الفحولة في اللّغة، وهذا هو عين ما حدث مع الشاعرات النساء في العصور الأولى منذ الخنساء حتى عائشة التيمورية»[2].

يؤكد الغذامي أن الأدب الأنثوي أدب استمد لغته وفكره من قلم الرجل، حيث سترجلن بذلك.

[1]- سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ص 323.

[2]- عبد الله الغذامي، المرأة واللغة، ص 182.

وقد نجد تسميات أخريللأدب النسائي ابتكرها الغرب ووصلت إلينا إذ: " ظهرت في السويد تسمية هذهالكتابات بأدب الملائكة والسكاكين وهو ما قلده محمود فوري حين أطلق على ما كتبته المرأة أدب الأظافر الطويلة "[1].

نفهم من خلال هذا التعريف أنالمرأة في بدايتهاالأولىكانت تكتب عن مشاكلها وأحاسيسها وقضاياها المختلفة وكانت ترى الرجل الأولى عدوها الاول فهي تدافع عن نفسها للتحرر بالكتابة .

[1]– أحلام معمري، اشكالية الادب النسوي بين المصطلح واللغة،الملتقي الدولي الاول في المصطلح النقدي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 09 مارس 2011، ص 207.

III- الأدب النسوي بين الرفض والقبول:

إنّ مصطلح الأدب النسوي غربي انبثق عن الحركة النسوية وانتقل إلينا عن طريق الترجمة، هذا ما أدى إلى الطرح العديد من التساؤلات والآراء، فهناك معارضين للكتابة النسوية وكذا مؤيدينا لها، ولكل منهما حجته التي بني عليها موقفه وهذا ما سنعرضه فيما يلي:

- موقف الرفض:

تتخذ الناقدة "سلمى الخضراء الجيوسي" الموقف الرافض للمصطلح كونه يصنف الأدب حسب الجنس.

«فهي تعد تقسيم الأدب إلى رجالي ونسائي خاطئا ومعوجًا، لأنه لا يحافظ على استقامة الأمور من جهة نظرها، إذ القضية يجب ألا تؤخذ من منظور جنس الكاتب، بل تؤخذ من منظور الأدب الجيد والأدب الرديء في المضمون والموهبة المبدعة سواء أكان الكاتب أديبا أم أدبية»[1].

إذن يتضح لنا من خلال هذا التعريف لا ينبغي تقسيم الأدب إلى رجالي ونسائي فالإبداع واحد والأدب واحد سواء كان كاتبه رجل أو أنثى.

وكذلك يرفض "شمس الدين موسى" هذا التقسيم ويتضح في قوله: «أنا أرى أن تلك العبارة (الأدب النسوي) لا أساس لها من الصحة، وهي بعيدة تماما عن الموضوعية والعلمية، لأنه لا يمكن أن يكون هناك تقسيم النسوي لا أساس لها من الصحة، وهي بعيدة تماما عن الموضوعية والعلمية، أنه لا يمكن أن يكون هناك تقسيم ميكانيكي للأدب، بوصفه أدبا للرجل، أو أدبا للمرأة، طبقا للتقسيم البيولوجي بين الرجل والمرأة، لأن كليهما إنسان ويخضع للشروط التي يخضع لها الآخر، مثل الظروف الثقافية والحضارية والسياسية (...)

[1]- حسن مناظرة، النسوية في الثقافة والإبداع، دار الكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2008، ص 89.

وعندما تعبر المرأة عن الظروف في عمل أدبي فإنها لا تعمل قسرا على توظيف خصوصيتها النوعي بوصفها امرأة، هي تحاكي الإنسان بداخله، وما يتخذ من مواقف بحكم ثقافته أولا، وموهبته ثانيا ورؤيته الفكرية ثالثا»[1].

إذن لا يمكننا تصنيف الأدب رجالي ونسائي لكنّ كليهما يخضع لنفس الظروف ونفس المواقف، حيث يؤكد أن الأدب النسوي ليس له أساس من الصحة لأنه يخضع لذاتية والعكس صحيح.

وفي نفس السياق ترفض أيضًا يمنى العيد "المصطلح" فهي ترى أنه لا يمكن «التمييز بين الأدب كمفهوم عام، والأدب النسائي كمفهوم خاص، ولا تعترف إلا بوجود نتاج ثوري يلغي مقولة التمييز بين الأدب النسائي والأدب. كما يلغي مقولة الخصوصية النسائية كطبيعة تعيق مساهمتها في ميادين الإنتاج الاجتماعي والتي منها الأدب»[2].

نفهم من هذا التعريف أن الأدب واحد لا يوجد أدب عام ولا أدب خاص وهذا ما يحذف مقولة وجود الخصوصية من الناحية الأدب.

أما حسام خطيب يرى أن هذا الأدب لا يأخذ مشروعيته النقدية إلا إذا كان يعبر عن القضايا الخاصة بالمرأة الكاتبة.

يقول: «تثير المصطلحات الدارجة مثل (الأدب النسائي) و(الأدب المرأة) كثيرا من التساؤلات حول مضمونها وحدودها، وفي الأغلب تتجه الأذهان، لدى سماع مثل هذه المصطلحات إلى حصر حدود هذا المصطلح بالأدب الذي تكتبه المرأة، بتحديده من خلال التصنيف الجنسي الذي تكتبه المرأة، أي بتحديده من خلال التصنيف الجنسي لكاتبه لا من خلال المضمون وطريقة المعالجة. ويترتب على ذلك أن تكون الأهمية النقدية لمثل هذا

[1]– حسن مناظرة، النسوية في الثقافة والإبداع، ص 90.

[2]– رشيدة بن مسعود، المرأة والكتابة سؤال الخصوصية (بلاغة الاختلاف، إفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، ط2، 2002، ص 77.

المصطلح ضئيلة جدا اللهم إلا إذا انطوى مفهومه على الاعتقاد بأن بالإنتاج الأدبي للمرأة يعكس بالضرورة مشكلاتها الخاصة، وهذا هو المسوغ الوحيد الذي يمكن أن يكتسب مصطلح (الأدب النسوي) مشروعيته النقدية»[1].

إذن يصف حسام خطيب الأدب النسائي على أنه مصطلح دارج وهذا ما يثير التساؤلات مما يؤدي إلى وجود أدبأخرى وهو أدب المرأة، فهذا يعتبر تصنف جنسي، ينقص من قيمة المرأة.

[1]– رشيدة بن مسعود، المرأة والكتابة سؤال الخصوصية، ص78.

- موقف القبول:

أما الموقف المؤيد للكتابة النسوية، فيظهر من خلال مواقف التي سنعرضها فيما يلي:

ومن بين المؤيدين للكتابة النسوية نجد الناقد "محمد عبد الله الغذامي" في كتابه "المرأة واللّغة".

يقول: «إنّ حدوث فعل الاستلاب وبخس الحقوق يعني بالضرورة أنّ هناك حقوقًا وأنها معطى طبيعي وليست مكتسبة، ولذا صارت قابلة للبخس والاستلاب وإن التأنيث في اللغة له حق طبيعي وصفة جوهرية استلاب أنوثة اللغة بتذكيرها وردها إلى أصل مفترض»[1].

إذن نلاحظ من خلال هذا الموقف أنّ اللغة أنثوية حسب الغذامي وعرفت واستلابا لتكون ذات دلالة محدودة إذ أنّ اللّغة أنثوية بالفطرة ولا تحتاج مبررًا.

وفي نفس السياق نجد "حسين مناصرة في كتابه" "النسوية في الثقافة والإبداع" يميل إلى التأكيد بوجودالكتابة النسوية.

حيث يقول: «يرى أنّ المرأة أقدر وأغزر وأصدق في التعبير عن ذاتها خاصة إذا كان موضوع يتسم بالوجدانية، وكانت الأنا مرتبطة بالإحساس هي بؤرة التوتر، ولا يمكن للكتاب مهما بلغ من نضج فنّي وموضوعي في التحدث عن المرأة الكاتبة مع نفسها أغوارها ورصد مشاعرها الحميمة، كما تفعل المرأة الكاتبة مع نفسها أو مع بنات جنسها»[2].

نفهم من خلال هذا التعبير أو التعريف أن المرأة هي التي تعرف بجوانب حياتها وخصوصيتها حيث تملك القدرة الكافية لتعبير عن نفسها بالكتابة.

---

[1]- عبد الله الغذامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1996، ص 16.

[2]- حسين مناضرة، النسوية في الثقافة والإبداع، دار الكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2008، ص 92.

كما أن هناك رجال لهم القدرة الكبيرة والكافية لتعبير عن المرأة ومعاناتها أكثر من المرأة نفسها وبشكل لا يصف ولاقت كتاباته شهرة أكبر.

وفي حين ترى زهور كرام أنّ خصوصية الكتابة النسوية، لها ظروف خاصة بالمرأة وهذا ما تؤكده.

تقول: «المرأة حين تطرح أشياء عبر لغة الإبداع فإنّ ذلك يتم بمنظور جديد، ما يمنح لكتابتها خصوصية نابعة من ظروفها الخاصة التي تنعكس عن رؤيتها وتصورها للأشياء»[1].

إذن تؤكد زهور كرام على ضرورة وجود كتابة خاصة بالمرأة لأنّها الوحيدة التي يمكنها الطرح أفكارها والقضايا الخاصة بها وذلك عبر لغة خاصة بها، فهذا يولد إبداع جديد.

وفي نفس السياق يؤكد "حسين مناضرة" على قبول لمصطلح الأدب النسوي، حيث يقول: «إنّ أدب المرأة واقعًا ومصطلحًا ينبغي أن يكون مصدر اعتزاز للمرأة والمجتمع والنقاء، إذ أنه يصحح مفهوم الأدب الإنساني الذي يؤكد على قيمة الإنسان وقدرته على تحقيق ذاته، كما أنه يضيف إلى الأدب السائد نكهة مغايرة ولغة وليدة ويغنيه ويتكامل معه، وهو أيضا خطاب نهوض وتنوير»[2].

نفهم من خلال هذا التعريف أنّ "حسين مناضرة" يؤيد مصلح الأدب النسوي، ويدعوا إلى ضرورة الاعتزاز والافتخار بالكتابة النسوية. فهذا الأخير يولد لغة جديدة مما يزيدها إبداعًا وتنوعًا في الأدب عامة، والأدب النسوي خاصة، وكما يدعوا إلى الابتعاد عن السلبية التي تعرض المصطلح الأدب النسوي إلى الدونية وينقص من قيمته.

---

[1]– زهور كرام، النسائي العربي مقاربة في مفهوم والخطاب، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، الدار البيضاء، 2004، ص 72.

[2]– حسن مناضرة، النسية في الثقافة والإبداع، ص 93.

كما نجد الناقدة بثينة شعبان في كتابها "مئة عام من الرواية النسائية العربية" تدعو بدورها إلى الاعتزاز الكتابة النسائية .

في هذا الصدد تقول: «كنت دائما أستغرب مواقف الكاتبات اللواتي ظهرن وكأنهنّ يقللن من شأنهنّ ومن وجودهنّ، حيث يؤكدن أنّهن ليس كاتبات نساء ولكنهن كاتبات فقط، حيث فهمت دافعهن لقول هذا وجدت أنّ نساء كثيرات وفي مجالات مختلفة قد عشن تجارب مماثلة وكنّ حريصات دائما على أن ينظر إليهن كمهنيات محايدات، وليس كنساء مهنيات خشبة الحكم المسبق بالانتقاص على كفاءتهنّ»[1].

نفهم من خلال هذا التعريف أن النقادة "بثينة شعبان" تستغرب من بعض الكاتبات خصوصًا أولئك اللواتي يخجلن من "مصطلح النسائية" حيث اتفقت على رفضه باعتباره يشجع في نظرهن المنظور السلبي لما يكتبن من قضايا تعبر عن الذات وأيضا عن المجتمع وقضاياه المختلفة، فهذا في نظرهنّ ينقص من قيمتهن وكفاءتهن.

وكخلاص لكل ما سبق يمكن القول أن المرأة قد اقتحمت عالم الكتابة بجرأة وكما فرضت وجودها في كافة مجالات الإبداع الأدبي من شعر ونثر لاسيما الرواية.

بالإضافة إلى ذلك فإن المحاولات السابقة المؤيدة والمعارضة للتسمية، لا تعدو أن تكون خوضا في مسألة يغلب عليها كثير من الانفعال، فالأدب واحد سواء كان كاتبه رجلا أو امرأة، المهم أنه يطرح قضايا إنسانية.

ومن هذا المطلق فإن المرأة في كتابتها الإبداعية لها منظور خاص في الحياة والزمن والسرد واللغة يختلف عن منظور الرجل وهذا ما يؤكد خصوصية الكتابة عندها، وسنحاول قدر المستطاع إثبات هذه الخصوصية في الجانب التطبيقي من خلال الروائية بثينة العيسى في روايتها "تبرت ونسيت أن أنسى" التي هي أنموذج الدراسة والتطبيق.

[1]– بثينة الشعبان، مئة عام من الرواية النسائية، ص 24.

الفصل الثاني

قضايا التحرر عند المرأة في رواية "كبرت ونسيت أن أنسى"

الفصل الثاني

قضايا التحرر عند المرأة في رواية "كبرت ونسيت أن أنسى"

- تمهيد.

1- التعريف بالروائية.

2- تحرر المرأة من السلطة الذكورية.

3- تحرر المرأة من المنظومة الدينية.

4- تحرر المرأة من العادات والتقاليد.

5- تحرر المرأة من الزواج.

6- تحرر المرأة عن طريق الكتابة (الشعر).

تمهيد:

1- التعريف بالروائية:

مؤلفة الرواية "كبرت ونسيت أن أنسى"هي الروائية الكويتية بثنية وائل العيسى، من مواليد 03 سبتمبر 1982، حاصلة على شهادة الماجستير في إدارة الأعمال، تخصص تمويل كلية العلوم الإدارية، جامعة الكويت 2010.

بدأت رحلتها الأدبية بروايتها الأولى "ارتطام لم يسمع له دوي" عام 2004.

- سعار 2005.
- عروس المطر 2006.
- تحت أقدام الأمهات 2009.
- قيس وليلى والذئب 2011.
- عائشة تنزل إلى العالم السفلي 2012.
- كبرت ونسيت أن أنسى 2013.
- خرائط التيه 2015.
- حازت على العديد من الجوائز منها:

✓ حائزة على جائزة الدولة التشجيعية عن روايتها "سعار" 2006- 2005.

✓ حائزة على المركز الأول في مسابقة هيئة الشباب والرياضة فرع القصة القصيرة، 2003.

✓ حائزة على المركز الثالث في مسابقة الشيخة باسمة الصباح فرع القصة القصيرة.

✓ حائزة على المركز الثالث في المسابقة مجلة الصدى للمبدعين 2006"[1]

[1]- بثينة العيسى، كبرت ونسيت أن أنسى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2013، ص 264- 265.

نسعى في هذا الجزء الأخير من الدراسة قضايا التحرر من خلال رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" لبثينة العيسى التي اخترناها كنموذج جسدت فيها الروائية الخليجية قضايا التحرر عند المرأة عن طريق الكتابة.

إنّ قضية المرأة هي قضية حساسة تتعلق باضطهادها وما تتعرض له من خلال أشكال الظلم والاستغلال والقهر والعنف وما تعانيه من أنواع التمييز الجنسي، ومن هنا حاولت نقل قضيتها عبر الكتابة إذا تعلقت قضيتها بالجنس الأدبي الأكثر انتشارًا، وهو فن الرواية أي أن لا يمكن الفصل الأدب عن المجتمع خصوصًا ونحن نعيش قضايا مطروحة وآراء متناقضة خاصة حول موضوع المرأة له أهمية كبيرة، طالما تحدث عليه النقاد والكتاب. وكانت بثينة العيسى من بين الكاتبات المعاصرات اللاتي سخرنا قلمهن لخدمة قضايا التحرر عند المرأة، فكتبت عن الحب والزواج والطلاق والإنجاب وغيرها من قضايا التي شكلت أحد أهم اهتماماتها فحاولت الإفصاح عنها بلغة شعرية تحمل العديد من المعاني والدلالات، إضافة إلى ذلك نحاول البحث في خطاب التحرر في الكتابة النّسوية ومظاهر الإبداع تعكس ما خلفه الأذى النفسي والتسلط الاجتماعي الممارس من طرف المجتمع الذكوري الأمر الذي ولد ثنائيات ضدية بين المرأة والرجل وكذا بين المرأة والعادات والتقاليد والمرأة والدين وغيرها ...وكيف لها أن تجد لنفسها حيّزًا كتابيًا، كإنسان حرّ بذاته وسط مجتمعه.

اِنطلاقا من هذه الفكرة سوف يتم تتبع الرواية "كبرت ونسيت أن أنسى" من خلال كتابة "بثينة العيسى" واستنباط القضايا الجوهرية الموجودة فيها التحرر المرأة، لكن قبل ذلك لا بأس نقدم فكرة وجيزة عن الرواية.

تعدُّ رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" إحدى أهمّ الروايات المعاصرة التي تُناقش قضّية الحقوق التي حرمت منها بحجّة الدين والعادات والتقاليد والأعراف، فالرواية تحكي قصّة "فاطمة" التي نشأت أثناء موجة ما يسمى بالصحوة الدينية في العالم العربي، أي جيل الثمانينات والتسعينات، حيث بدأ الفتاوى تنهل على الشباب من كلّ صوب وحدبٍ،

فالموسيقى حرام والصور حرام والبرامج الإذاعية فنسق والشعر طامة كبرى والفنون معصية وملهاةٌ عن الذكر، هذه الفترة التي كثرت فيها الحركات الدّينية والتخبطات تركت أثرها في الكثير من الشباب وخلقت ورائها شقوقها عميقة في النفوس والبيوت أيضًا.

2- التحرر من السلطة الذكورية:

ما يعرف عن المجتمع العربي أنه مجتمع ذكوري متسلّط مليء بالضغوط من جوانب عدّة، قامع للمرأة فهي منذ لحظة خروجها من رحم أمها تلاقي التهميش والنظرة الدّونية، ومحدد لدورها، فمهما حققت من نجاحات وتفوقًا فإنها دائما تسير وفق القوانين المجتمع الذكوري الذي يرسم ويحدد لها مسارها، وهذا الفكر ينظر إليها على أنها مصدر شؤم للعائلة، وهم وعار، يجب الحفاظ على شرفها.

وتظهر هذه الذكورية جليا، كما سنرى في عدة خطابات من الرواية "كبرت ونسيت أن أنسى" لبثينة العيسى وذلك إنّ التركيبة الأسرية لبطلة الرواية "فاطمة".

إنّ التركيبة الأسرية للمجتمعات العربية تجعل من الأب والأم محور القرار في الأسرة إذا غاب كيلها، فيصبح الأخ الأكبر هو المسئول عن تسيير شؤون الأسرة.

إنّ النظرة المتميزة للذكر من قبل المجتمع الذكوري والتفرقة بينه وبين الإناث في الأسرة التقليدية خولته ليكون سيد الأسرة الذي يملك الحرية المطلقة ليعامل أخواته كما يشاء وبأي طريقة التي يريدُها حتى وإن كان هو الظالم ومتشدد، هذا ما حدث "لفاطمة" عندما توفيا والديها وتولى أخوها الغير الشقيق تربيتها بهذا الصدد تقول بطلة الرواية "فاطمة"

«كنا أخوين غير شقيقين، لكنني كنت يتيمة وحدي، وقد تلقف صقر يتمي مثل هديّة منزلة، فقد صار بوسعه أن يكون مسئولا عني، وأن يجعل مني مشروعه الإصلاحي، كي يمضي قدمًا في عملية تقويمي»[1].

تؤكد فاطمة من خلال هذا الخطاب أن صقر وجد الفرصة المناسبة في إعادة تربيتها ورعايتها واصطلاحها من جديد فأصبت شغله الشاغل.

[1]- بثينة العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 32.

تقول أيضا «لم يكن اليتمُ وفاة والديّ، اليتمُ الحقيقي هو أنني لم أمت، وأن صقر لم يمت أيضًا، فقد بقي في العالم ليصبر جلادي، ليُفتش حقائبي بحجة البحث عن علكة، ويتفحص ما تعني بحجة البحث عن رقم هارديز، وليراجع تاريخ تصفحي في الكمبيوتر ليحقق من أنني لا أجيد عن صراط الفصيلة ولا أتحاور مع الرجال في الفضاء السيبيري، وهو يقوم على حراسة شرفي، كالكلب تمامًا، باستثناء أن الكلب أكثر محبة»[1].

إذن يظهر أن "فاطمة" عانت من القهر ليس بسبب اليتم فقط، لكن اِضطهاد الأخ الكبير وهي في الثالثة عشر من عمرها ويفرض عليها قوانين جديدة من أجل اصطلاحها فهو يرى أن في حياتها السابقة يوجد نوعٌ من الانفلات وأنّ والديها دلالها، فيقوم بحراستها مثل الكلب خوفا من شرفها وجلب العار للأسرة.

فهو يلعب دور الأب المثالي وأنه يريد كل الخير لها. هذا ما نجده في كلام "فاطمة". تقول: «صقر هو الأخ الكبير وولي الأمر، وطاعة ولي الأمر واجبة»[2].

مما يفسر لنا كيف أصبح الأخ الكبير يفرض على فاطمة سلطته وسيطرته عليها وواجب طاعته لأنه هو وليّ أمرها.

ينبغي أن تحرص على تطبيقها لأوامره، فالخطأ يعني أن تعاقب دون رحمة.

تقول في خطاب آخر «قرارات وليّ الأمر دائمًا صائبة لأنه الأقدر على استشفاف المصلحة واستجلابها، كل جدال مع وليّ الأمر هو من عمل الشيطان، وليّ الأمر يحبني ويريد مصلحتي ولا يريني إلا ما يرى، ولا يهديني إلا سبيل الرشاد، وليّ الأمر يقرر بالإنابة عني كل أموري، منذ ملابسي وحتى اختيار صديقاتي، لأنه بواقع خبراته وتفوقه يعرف مصلحتي أكثر مني لا داعي للتفكير أبدًا في وجود ولي الأمر، لأنه –بعقله المتفوق– قد

[1]– بتية العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 67.

[2]– المرجع نفسه، ص 43.

وفر علي عناء التفكير وتقرير المصير، كل شيء محسوم الحياة وصفة جاهزة وكل ما علي فعله هو أن أتبع الخطوات الصحيحة لأصل إلى النتيجة المرجوة– الطبخة التي هيا أنا»[1].

في هذا الخطاب تقدم لنا الروائية نموذج الأخ المتسلط، حيث منعها من أبسط حقوقها وهو حق التفكير الذي جعلها الله حقًا طبيعي للإنسان، حيث يقرر كل شيء بدل عنها فهي فقط تخضع لأوامره ولا يحق لها أن تجادله، فالروائية تقدم لنا صورة المرأة العربية داخل المجتمع الذكوري الذي ينظر للمرأة نظرة احتقار ودونية و على أنها ناقصة فهذه الفكرة التي رسخها المجتمع الذكوري في عقل المرأة جعلها تشعر حقا بالنقص في داخلها أي في ذاتها.

تستمر معاناة "فاطمة" منذ بداية وفاة والديها هنا تكشف "البطلة" الشخصية الحقيقية لأخيها "صقر" وهو جزء الخفي، يمارس سلطته على أخته ويراقبها من أجل حمايتها وخوفًا من ألسنة المجتمع.

تقول "فاطمة"«لم يكن مسموح لي أن أكون أنا وكانت مواعظ صقر تصب في مشروع تفتيتي، وفي طمس اختلافاتي التي تزعجه»[2].

تصبح الدنيا أكثر قبحًا وبشاعة بعد أن غادر والديها الحياة يغتصب صقر حياتها وتصبح جسدًا بلا روح تسكن السرداب، لا أحد يعيرها الاهتمام سوى لتوبيخها باسمإصلاحها عاشت فاطمة كل أنواع العنف الأسري سواء اللفظي أو الجسدي.

تقول: «امتلأ قلبي بالكمد وغامت عيني، هذا السرداب غرفتي؟ أخاف السراديب! قال مضطرون، ليس عندنا غرف زائدة. كانت عنده غرفة زائدة في طابق الثاني ولكّنه ارتأى أن يملأها بالأجهزة الرياضية»[3].

أصبحت تعيش ما يقارب سبعة سنوات في سرداب قذر مع أشخاص متسلطين.

[1]– بتية العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 43

[2]– المرجع نفسه، ص 44.

[3]– المرجع نفسه، ص 26.

هكذا تلجأ الروائية على تصوير البطلة وهي تحت وطأة الحزن مكبلة بأوهام الهزيمة بعد أن اصطدمت روحها بالواقع المرير.

رغم محاولاتها للانسجام مع عائلتها لم تجد إلا سخرية فتوالت عليها الانكسارات فصارت نظرات عينيها ما تبرح الأرض.

تقول "فاطمة"«لم تكن الوحدة خيارًا سهلاً، فهي تعتبر فعلاً شيطانيًا في بيت الأخ الكبير، وتحدثُ المجالس العائلية بقوّة الإجبار والتأكيد على وجوب الطاعة والانخراط في معيّة الجماعة...»[1].

في هذا الخطاب تؤكد روائية عدم القبول و الاحترام الرأي الأخر ويجب القبول بكل شيء الاعتراض ممنوع في بيت أخيها .

حاولت "فاطمة" الهروب من بيت أخيها وأن تخلص نفسها من المعاناة التي تعيشها في بيت أخيها وتنفذ من ذاك السرداب العفن.

تقول في خطاب أخر: «هربتُ من البيت لأوّل مرة وأنا ابنة تسع عشرة سنة، حدث الأمرُ دونما تخطيط أو عناية، تعذرت الحياة فخرجتُ من البيت وسميت خروجي هروبًا، وسمّيتُ هروبي خلاصًا، وسمّيتُ خلاصي موتًا، قلتُ لن أعود مهما، حصل لن أعود إلاّ جثة»[2].

جعلت فاطمة هروبها خلاصا من أخيها ومشاكله ولكنها فشلت في ذلك لتعود إلى ذلك السجن وتستمر معاناتها من جديد.

بعدما فشلت في الهروب تفكر في الموت لأنّ الموت راحة في بعض من الأحيان وهي على قيد الحياة فتشري زهورًا وتبحث عن قبر يناسبها.

[1]– بثينة العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 43.

[2]– المرجع نفسه، ص 15.

في هذا الخطاب تقول: «بحثتُ عن قبر يلائمني، يلائم موتي المجازي...، وفيم أنا أمشي لعنتُ حذائي غير المريح وقراراتي غير المدروسة، في تمام الفراغ الرملي بين نبتتي صبار، حفرت حفرة ودفنت فيها بتلات الأزهار البيضاء، سمّيتُ تلك البقعة قبري واتفقت مع نفسي على موتي، لقد متُّ وارتحت وانتهى الأمر»[1].

حضرت لنفسها موتات كثيرة في كل مرة تدفن جزءًا من روحها ومن مشاعرها وأحلامها، دون أن تفقد جسدها، حيث تقول الآن لن أشعر بالألم بعد اليوم وترتاح من متاعب الحياة.

في هذا الصدد تؤكد نوال سعداوي أنّ «ما أكثر الأسباب التي تتعرض لها المرأة في مجتمعنا لتقتل نفسها وتعيش عمرها في حال تجعل حياتها كالموت، بل إن الموت قد يكون أرحم في كثير من الأحيان»[2].

حاولت أن تتخلص من الألم النفسي وكانت تتوهم أشياء لا توجد في الواقع وذلك لتخفيف من قهرها وألمها وتلجأ إلى الخيال عندما تحس بالانهزام والهروب من الأحداث المحيطة بها والمثيرة للقلق والتوتر والخوف في نفس الوقت.

في حين آخر تتخذ البطلة "فاطمة" الصمت كسبيل سلكته كارهة حتى اعتادت عليه وصار شيئا طبيعيًا تكاد تنسى كيف كان الحديث؟ تبتلع أحزانها وأوجاعها وتصمت تبتلع كلامهم القاسية والسامة وتصمت تبتلع تلويث أخيها لكل ما تحبه وما تحلم به، وتسكت تبتلع خيبتها وتنام.

فاطمة هو الصوت المثقل بالهموم النفسية والاجتماعية، يتحكم في مصيرها جهل الأخ وقسوته، من هنا تبدأ رحلة المعاناة وفقدان الذات والشعور بالطعن وقلة الأهمية.

---

[1]– بثينة العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 18.

[2]– نوال السعداوي، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1990، ص 12.

3- تحرر المرأة من المنظومة الدينية:

إختلفت أراء الكاتبات العربيات من الدين، فمنهن من تدافع عن الدين مقنعة بأنّ الدين هو أساس الإنسان والهوية، وهناك من تثور وتوجه نقدًا شديدًا للدين، لما تجد فيه من تضييق على المرأة وحرمانها فرصة مساواتها بالرجل.

ومن بين الكتابات اللواتي تطرقنا إلى قضية الدين، بثينة العيسى في روايتها "كبرت ونسيت أن أنسى" إذ أشارت الروائية إلى عدة خطابات تدل على المنظومة الدينية ودورها في المجتمعات العربية الذكورية، حيث نلمس في خطاباتها نوع من الدعاوي إلى تحرر المرأة. تدعو إلى حق النساء أن يدافعن عن أنفسهن ضد كل أشكال التمييز المسلط عليهن باسم الدين، وفي أن يقاومن للاستغلال الذكوري للدين تثبيت سلطانه على أجساد النساء وعلى مصائرهن، وأيضا الكشف عن نظامها والمسكوت عنه، وإعادة بناء فهم جديد لخطاب الديني من أجل تحرير المرأة، كما تؤكد ألا تعارض بين الإسلام وتطلعات النساء إلى العدالة والمساواة، وتمثل بطلة الرواية "فاطمة" نموذج المرأة المظلومة باسم الدين.

تقول البطلة «كل علاقة مع مقدس، مع الله ومع النبي ومع القرآن كان ينبغي أن تمرّ من خلاله، لأنني موصومة بالجمل والنقص أبدًا، كنت أتجرأ بأسئلتي ووحدتي على ذلك الكهنوت غير المرئي الذي يخنق عالمي، دوختني الأسئلة، وأوجعتني... وكانت كلها ممنوعة ومختومة بالشمع الأحمر. صناديق كثيرة من التابوهات التي لا تُمس ولا يحق لأحد أن يتحدث عنها، فالعالم كما يعتقد صقر، هو مجرد قنوات موصولة ببعضها، وكل ما علينا فعله هو أن نقوم بتمرير الحقيقة التي نملكها سلفًا إلى من هم دوننا، وتلقيها ممن هم فوقنا، لسنا بحاجة إلى البحث عنها»[1].

[1]- بثينة العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2013، ص 44.

في هذا الخطاب تؤكد لنا "فاطمة" أن الدّين ترغيب لا ترهيب، والضرب بالسياط والنعل ليس ترغيبًا أبدًا.بل تجعل المرئ يشعر بالقمع والعنف. فالإسلام بريء من هذه الأفعال، فهو الدين الذي يدعو إلى اِستخدام العقل والتأمل في أمور الكون وفي خطاب آخر، يقول «كل سؤال هو صعلوك، كل سؤال هو مشروع زندقة»[1].

فهو يمنعها من السؤال ويجادلها في كل شيء حتى في الطرح بعض أسئلة من أجل معرفة أمور الدين والتفكير والتعمق فيها يعتبر كفر وزندقة وخروجًا عن الدين حسب اعتقاد "صقر" فبدأ يحدثها عن الحرام والحلال.

تقول فاطمة «فحدثني عن حرمة اقتناء الدمى، لأنها "صور" تمنع دخول الملائكة وخاصة "باربي الفاجرة" التي تزرع أفكارًا فاسقة في عقول البنات، وهكذا، أضفت في معجمي كليمتين جديدتين: فسقٌ وفجور»[2].

وفي نفس الوقت ذاته تؤكد الروائية مدى تشدد أي تعصب "صقر" فقد حرم كل شيء "صقر" يمثل النموذج الذكوري المتعصب دينيًا، الذي يفتى على هواه ويسند إلى الأحاديث الضعيفة من أجل الإخضاع لأوامره، باِسم الدين، فالإسلام بعيد كلّ البعد عن التعصب، وما يفعله "صقر" في أخته فاطمة من تسلط وقهر تحت غطاء الدين وباسم مشروعيته، لا يمت للإسلام بصلة أبدًا. فالإسلام دين الوسيطة.

يستمر "صقر" بالضغط على أخته ويراقبها ليتأكد من حسن سيرتها.

في خطاب آخر تقول:«كان مختلفا مع أبويّ وينكرُ عليهما أشياء كثيرة سماع الموسيقى، شراء الباربي، تزين المناضد بالصور الفوتوغرافية، الاحتفال بأعياد الميلاد،

[1]– بثينة العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 44.

[2]– المرجع نفسه، ص 27.

حضور الأعراس في الفنادق، لقد كان صقر ماضيًا في مهمة نبيلة معي اسمها: إنقاذها ما يمكن إنقاذه»[1].

نفهم من خلال هذا الخطاب أن "صقر" يرى أن في حياتها السابقة نوع من الانفلات والحريّة التي لا يجب أن تكون لمن هم في عمرها ليقمع فيها شخصيتها ومعنوياتها ومن ثم يحرم الكثير من الأشياء سماع الموسيقى، شراء الباربي والاحتفال بأعياد الميلاد... وغيرها فيبدأ بمهمته النبيلة وهي إعادة إصلاحها.

وفي حين تستمر معاناة البطلة بعدما زارت مدينة الملاهي اِكتشفت أشياء عدّة.

تقول في هذا الخطاب «في تلك الزيارة لمدينة الملاهي تكتشفتلي أمور كثيرة، أولاً: ممنوع أن أشتري شرابًا مثلجًا أحمر لكي لا تحمرّ شفتاي ولساني يبدو الأمر، والعياذ بالله كما لو كنت متبرجة، ثانيًا: ممنوع ركوب الحصان، ويسمح بركوب الحضور، ثالثًا: ممنوع الركضوالهرولة أمام الرجال، رابعًا: يسمح بشراء الأيسكريم ولكن ينبغي لعقه بطريقة لا تظهر اللسان، خامسًا: يجب التحفظ على الدهشة، الصراخ ممنوع، الصراخ دليل على التهتك وقلة الحياء»[2].

نلاحظ من خلال هذا الخطاب أن الروائية قامت بالتسليط الضوء على ظاهرة التشدد الديني التي قد تصل إلى حدّ الابتداع بالدين ذلك التعصب الواضع الذي تضطر الأسرة أن تتماشى معه رغمًا عنها.

وفي حين آخر يقول لها: «ناقصة عقل، وكان من شميه أيضًا أن يؤكد: ودين»[3].

إذن "صقر" يمثل في الرواية فئة من الناس الذين شوهوا الإسلام باعتمادهم على كلام الشيوخ وكبار العلماء وتفسيرهم الآيات بما يتناسب مع أهوائهم واختيارهم ضعف الحديث

[1]– بثينة العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 32.

[2]– المرجع نفسه، ص 57.

[3]– المرجع نفسه، ص 42.

من أجل قمع المرأة ويزرع في عقلها فكرة أنّها ناقصة وتشعر بالدونية والتهميش وأيضًا محاولة القضاء على الكيان ووجود المرأة.

بالإضافة إلى ذلك ما ينم عن إيديولوجيا بائسة مغلفة زيفا بغلاف الدين وتخفي وراءها الكثير. فإن التاريخ يثبت العكس، فكيف تفسر إذا التاريخ المنحوتة صفحاته بحكايات نساء برزن في مجالات القيادة والفكر والإبداع، يأبي إلا وأن يفند هذه المزاعم، فمن منا لم يقرأ أو حتى لم يسمع عن نساء سواء كانت طبيبات ومحاميات وكاتبات برزنا بفضل دعائهنّ وحكمتهنّ ورجاحة عقلهنّ في سير شؤون المجتمع.

اِضطرت فاطمة أن تضع الحجاب طاعة لأخيها الغير الشقيق أمل منها أن يكون معها حنونًا.

تقول: «قررتُ في محاولة للإنسجام مع أخي الكبير أن أضع الحجاب على رأسي لأصير، جزءًا متناغمًا مع هذا الكل، أن أقوم بما علي لأحصل على حصتيمن الحنان»[1].

تناولت الروائية قضية الحجاب من خلال البطلة "فاطمة" حيث أن الحجاب ليس ترغيمًا بل قناعة بذلك. فالبطلة وضعت الحجاب اعتقادًا منها أن أخاها الغير الشقيق سيتغير بمجرد وضعها للحجاب وأن يكون معها لطيفًا وحنونًا، لكّن بدون فائدة، إذا "فاطمة" لم تضع الحجاب حبًا في ذلك فسبب هو طاعة أخيها فقط، فكانت في البداية تنتظر مباركة منه لكنه لم يهتم لأمرها. فردّ كلمته مشهور "يزن" فقط، وإنتهت مراسم وضع الحجاب، فالطاعة للخالق وليس للخلق.

كانت فاطمة تعشق الأدب، فدرست في الثانوية تخصص أدب من هنا تعرفت على اللغة الفرنسية وعشقتها، فمن خلال هذه اللّغة اِكتشفت الثقافة الفرنسية وجمال لغتها فعشقت حروفها الرنانة وعذوبة كلماتها الراقصة. بعدما اكتشف "صقر" ذلك غضب غصبًا شديدًا

[1]– بثينة العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 49.

فسحب اِعتقاده دراسة لغة الكفار يعتبر كفر وخروج من الدين، فهو يكره كل ما يتعلق بالغرب.

يقول: «وش ذا؟

هكذا كتاب فرنسي.

شفيها يعني؟

آخر عمرنا ندرس لغة الكفار ونهجر لغة القرآن؟

الفرنسية مادة إجبارية على طلب الأدبي.

وأنت تخصّصك أدبي.

ما دريت؟

وليه ما تخصّصتي تخصّص محترم؟ علوم، رياضيات، معدّلي ما يسمح.

إوليش ما يسمح؟ لأنك ما تدرسين»[1].

يظهر من خلال هذا الخطاب الذي دار بين "صقر" و"فاطمة" أن صقر يتدخل حتى في اِختبار التخصص الذي ترغب به، حيث حرمها من أبسط حقوقها أن تختار الكتب التي تقرأها. يعتبر "صقر" اللغة الفرنسية لغة الكفار، فمطالعة الكتب باللغة الفرنسية كفرًا وخروجًا عن القيم والمبادئ الإسلامية ويعني هجرة لغة القرآن واِبتعاد عن الدين.

ويبدوا أنّ قيود المجتمع على المرأة تفوق قيود الدين، وبذلك تثبت الروائية الخليجية اِطلاعها الواسع في أمور الدين، وتظهر مواقفها المؤيدة للدين. ممارسات الناس ضد المرأة باسم الدين، وتكشف عن الطابوهات الموجود داخل المجتمعات العربية، التي تسعى إلى حصر المرأة في زواية واحدة.

[1]– بثينة العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 62.

4- تحرر المرأة من العادات والتقاليد:

إنّ تحرر المرأة في الدول العربية يجب أن يفهم أولاً، على أنه تحرر من الاغتراب والازدواجية والاستلاب والحالة الإنسانية التي يحيها المجتمع العربي باسم العادات والتقاليد.

كثير هي الأشياء الجميلة، التي يحرمها المجتمع تحت ضغط التقاليد، دون أن يحرمها الدين... وثقيلة هي التهم، التي يلقيها المجتمع على من يحاول التحرر من موروث مقيد، وكابح للسعادة.

عندما نعطي تعريفا للعادات والتقاليد، فهي طباع تطبع عليها السلف، وتناقلوها طباع فرضتها ببيئتهم فالعادات ليست بالضرورة نتاج حكمة عقلاء أو خبرة عارفين، فقد تكون بالعكس، عادة نتجت عن قهر مستبد، أو ظروف قاسية استوجبت مسايرتها لفترة طويلة، لكن رغم زوال الأسباب تبقى العادة عالقة في الأذهان، من هنا، يجب أن نميز بين العادات ونغربلها، فمنها ما هو مضر بالمجتمع ومنها ما هو أساس في بناء المجتمع. أما عن الغربلة والتمييز، فالأمر بسيط وواضح في ديننا الحنيف، فما توافق مع الدين حفظنها، وما دون ذلك، نتعامل معه بتمرد وبما يخدم مصلحتنا فقط.

وفي الرواية "كبرت ونسيت أن أنسى" تطرقت الروائية إلى قضية العادات والتقاليد في المجتمع الخليجي خاصة والمجتمع العربي عامة.

كلنا نتذكر طفولتنا وكثيرة طموحاتنا وأسئلتنا المتكررة والتي اعتبرها ذوينا أنها سخافة وعندما كبرنا نسينا أن ننسى هذا ما جاء في العنوان الرواية "كبرت ونسيت أن أنسى" ألم الذاكرة، لا يمكن أن ننسى أحلامنا التي حرمنا منها بسبب العادات والتقاليد هذا ما تريده البطلة أن تفصح به.

فالعادات والتقاليد في مجتمعاتنا العربية سيطرت على عقول الناس بشكل رهيب كل شيء أصبح عيب وممنوع حتى التفكير وسؤال، خاصة إذا تعلق الأمر بالمرأة .

تقول بطلة الرواية "فاطمة" «عندما أخبرني على الدخول كلية البنات حفاظا على عفافي، عندما عرضني على صديقه للزواج حفاظًا على عفافي»[1].

فالبطلة في هذا الخطاب تظهر لنا ذلك النموذج الذكوري القامع للمرأة من خلال محاولة المزعومة لحماية شرف أخته من مخالب المجتمع تحت غطاء العادات والتقاليد. فدرستها في كلية البنات يعني المحافظة على شرفها وعدم الاختلاط.

فهذه القيود التي فرضها المجتمع على المرأة كان نتيجة للجهل الذي فرضته الظروف الاجتماعية منذ تاريخ بعيد ودخلت تحت إطار العادات وتقاليد المجتمع، تقول "البطلة" «يبدوا الوصول إلى الرصيف المقابل مستحيلاً في ظل الحراسة المشددة التي تفرضها المدرسة، فقد كانت الأخصائية الاجتماعية تنتظر انصراف آخر الطالبات حتى تمضي –بضمير مرتاح– إلى بيتها، وقد جعلت مهمتها في الحياة هي التأكد من أننا لا نعتبر الأمتار القليلة التي "المطعم دون مرافقة" ولي الأمر»[2].

إذا حتى المدرسة تلعب دورها في المراقبة الطالبات لكي لا ينحرفن عن طريقة الفضيلة، فالأخصائية الاجتماعية تمثل المجتمع الذي يفرض قوانين الصارمة على البنت حتى في أبسط حقوقها. فالمراقبة يعدّ ركن أساسي من أركان التربية الصحيحة.

بما أن الرجال في العقلية التقليدية الموروثة لا يتقبلون فكرة خروج المرأة من المنزل وهو ما عاشته بطلة الرواية "فاطمة".

[1]– بثينة العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 06.

[2]– المرجع نفسه، ص 15.

فتقول: «يأخذني صقر لزيارة خالتي مرة في السنة، نبقى يومًا ثم نعود، في زيارتي الأخيرة أخبرتها بأنني أتمنى أن أبقى معها، قالت «تشليك عيوني» ولكن كما ترين، المكان صغير والأولاد كبروا وأنت بنت»[1].

تظهر لنا الروائية من خلال هذا الخطاب منع المرأة من الخروج في المجتمعات المتحفظة إلى برفقة ذويها بعد سن البلوغ تخضع الفتاة منذ الطفولة بملازمة المنزل أنها كنوع يوقيها خطر الفضيحة المحتمل، دون الانتباه إلى الآثار النفسية التي تعاني منها، بسبب العادات والتقاليد حرمت في اختيار الرجل الذي تريده فأجبرت على الزواج بالرجل لا تحبه ولا تعرفه إطلاقًا.

تقول: «كنت أقول بأن الزواج حدث بسرعة.

نعم.

لم تسمح لنا فرصة للتعارف.

إنها تقاليد العائلتين.

أنا أحترم التقاليد.

حقًا؟

نعم، إنها تنظم أمورًا كثيرة.

أنا لا أحترمها....

أعني أننا ترزح تحت ما يكفي من الأقفاص، لو أننا إلتقينا قبل الزواج- مثلاً: لربما- تكشفت لكلينا أمور كثيرة عن الآخر»[2].

[1]- بثنية العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 128.

[2]- المرجع نفسه، ص 52.

من خلال هذا الخطاب الذي دار بين "فارس" و"فاطمة" تكشف لنا مدى قسوة "صقر" وتحت ذريعة العادات والتقاليد يقوم أخاها بممارسة العنف عليها، حيث يرى أن في حياتها السابقة نوع من الانفعالات ليقمع شخصيتها ومعنوياتها ومن ثم يقوم بتزويجها غصبًا ليتخلص منها.

نلاحظ مما سبق مدى نجاح مشروع الرجل في إلغاء المرأة كإنسان فعال لها هويتها الخاصة بها، تحت غطاء العادات والتقاليد والأعراف.

حاصرتها وحاصرت وظيفتها الحياتية في جانب ضيق ومحدود، حيث تمرد البطلة داخل الخطاب تعبيرًا عن رفضها بهذه القوانين التي سنّها المجتمع لصالح الرجل.

5- تحرر المرأة من الزواج:

لقد قاربت الكاتبات العربيات في نتاجهن الروائي قضية الزواج في محاولة منهن لرفع الزواج إلى علاقة إنسانية طبيعية بين الرجل والمرأة، هذه العلاقة تجعل الإنسان يعيش الإحساس بالسكينة والهدوء النفسي والاستقرار الروحي والجسدي في علاقته بالآخر خاصة إذا توج بالحب.

في الرواية "كبرت ونسيت أن أنسى" ترصد قصة "فاطمة"، كما جاء في الرواية أن "البطلة" بعد المعاناة الكبيرة التي عاشتها. التقت فاطمة "بعصام" توأم روحها بعدما ساعدتها صديقتها حياة في انخراط في النوادي الثقافية في الجامعة، هنا تعرفت "فاطمة" على "عصام" بعدما حضرت أمسية شعرية كان ثلاثة شعراء ومن بينهم "عصام" ألقى قصيدة شعرت "فاطمة" أن تلك القصيدة تشبهها تمامًا وفي الأخير دفعتها "حياة" للتحدث معه. فأعجب بها لكونها هي أيضًا شاعرة مثله، عصام ذلك الرجل الذي لا يشبه "صقر" كان مثقفا ومحبًا للأدب والشعر، أعجبت فاطمة به وتبادل أطراف الحديث معًا فبدأ يتعارفان عبر البريد الإلكتروني عبر الرسائل، فأصبح صديقا لها تخبره عن حياتها وعن أخيها صقر عن أشياء لم تخبر بها "حياة"، تتعجب لأمرها، يبادلها الحديث ويستمع إليها مهتما بها يشجعها على تحقيق أهدافها بقدرتها الشخصيّة، فقد احتل موقعًا مؤثرًا لديها، فهذا ما جعلها تكوّن صورة إيجابية عنه حيث انبثق الحب في قلب "فاطمة".

يقول لها «أحبك أكثر مما يستطيع عقلك البأس أن يتصوّر»[1].

"عصام" نشر الحب على عالمها، فأصبحت حاجتها للرجل هي حاجة إلى الأمن والاستقرار والحنان والحب لأنه شجعها على الكتابة الشعر والاستمرار الذي هو متنفس "فاطمة" فهو الرجل الذي أذن لها بالكتابة ونشر قصائدها، فقد أحبت فيه رزانة التفكير

[1]- بثينة العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 128.

والتعقل وعذوبة الحديث أحبته من خلال كتاباته فقد كانت بسمته المشرقة وجسده نحيف كلها أسهمت في عشقه فرأت من حقها أن تحبه، فترك على عاطفتها ونفسيتها المضطربة والمتداخلة هذا الحب الذي ربطها بالرجل، يغذيها شعرًا ووفاء وصدقًا من قصيدة مكتوبة إلى واقع ملموس.

تقول في هذا الخطاب«لا أعتقد بأنني كنت سعيدة في حياتي إلا في تلك الأيام القصائد، أيام البريد النفار خارج قبضة الزنزانة، لقد كنتُ حُرّة وكنت أضعُ عالمًا يخصّني وأتصالح مع أشياء وأتعلمُ، على مهلٍ. أن أحِبّ وأنا أحّب، كان كلانا في العشرين عندما إلتقينا»[1].

إذن تؤكد "الرواية" على أنّ "عصام" يمثل النموذج الرجل المحترم والمحب لشعر والشعراء والمدرك لحقوق المرأة والعاشق والوفي للمرأة والمتفهم لمشاعرها، تريد أن تثبت أن الرجال ليس كلهم ظالمين.

ولكن لم تستمر العلاقة بعدما إكتشف أخاها "صقر" حقيقة أمرها، فانهال عليه بالضرب وبالشتم يندي تعالي يا كلبة.

تقول بطلة: «شدني من حجاب رأسي بطول الممر الممتد من القاعة إلى السيارة دفعني إلى المقعد الخلفي، داسني بنعله، تكورتُ على نفسي، أنا ذئب بأذيال، تفاصيل أخرى زائدة، شتمني بطول الطريق إلى البيت...»[2].

لكن السلطة الذكورية متمثلة في "صقر" الأخ الغير الشقيق "لفاطمة" يسيطر عليها مرة أخرى تعود فاطمة إلى البيت وتعاقب بشدة من ذويها.

[1]– بثنية العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 137.

[2]– المرجع نفسه، ص 174.

فهو يقول لها«من يوم ورايح مافيهكلية، تنثبرين مكانك لين يجيك اللي يرضى يأخذك... ما يحفظك أنت ويّاه»[1].

تحرم فاطمة من الدراسة والخروج وتسجن في سرداب وحتى يأتي من يرغب بها ويزوجها، تعاني القهر والظلم.

بعد الحادثة تحاول صديقتها "حياة" للاطمئنان عليها لكن زوجة أخيها "بدرية" تمنعها من رؤيتها بحجة أنها سافرت. هكذا يحل اليأس في نفس "فاطمة" فتخضع لقوانين الأسرة.

"حياة" اسم على مسمى، صديقة طفولتها، والتي كانت بأمومتها أحيانًا تجاهها، التي كانت تدعمها دومًا وتساندها وتعنيفها إذ لزم الأمر. الصديقة الوفية التي بعدما طال غياب صديقتها حاولت باستماتة أن تصل إليها، وعندما عادت ... عادت.

بل، ظلت معها، تُساندها، ظلت كتفًا يمكن الاستناد إليه، "حياة"، كانت حياة بالفعل.

فشخصيتها القوية والمتحرر وأيضا تدعيمها من طرف أسرتها جعلت منها فتاة قوية. اختارت التخصص الذي تحبه وترغب به وهو الأدب الإنجليزي، مما جعلها تختلف عن "فاطمة". فالتنشئة تساهم في تكوين الفرد.

يقول صقر: «حياة تفاحة فاسدة تسوّس كل التفاح»[2].

فصقر يكره "حياة" ينظر إليها أنها تفاحة فاسدة حسب قوله وما تقوم به "حياة" مخالفا للأعراف والعادات والتقاليد السائدة في المجتمعات العربية، فينصح فاطمة بالابتعاد عنها يخبرها بأنها فتاة سيئة، خوفا من المجتمع الذي يرى في تحرر الأنثى وخروجها عن المألوف تصرفا لا أخلاقيا، لكن فاطمة ترى في صديقتها "حياة" تلك المرأة القوية والشجاعة والمتحرر من كل قيود التي وضعها المجتمع الذكوري، فتدخل فاطمة في عالم من الحيرة والصراع

[1]- بثينة العيسى، رواية كبرت ونسيت أن سأنسى، ص 174-175 .

[2]- المرجع نفسه، ص 89.

والخوف، فهي تفكر في التحرر، ولكّن حصارها الذاتي وترددها بين الشوق للحياة والخوف من عواقب اندفاعها.

لقد قررت العائلة تزويجها من "فارس" صديق "صقر" يشبهه كثيرًا دون أن يحترم أخاها مشاعرها ولا لفارق السنّ بينهما. هل كان ملاذًا؟ زوجها الذي لا تعرفه قط.

تقول: «ولا بهذا مدة رُعبه من الطريقة التي تمّ فيها الزفاف، عندما تمّ دفعني إليه، باليد الغليظة لأخي الكبير، وهو بالكاد يقول: مبروك»[1].

تعتبر المرأة فتنة والحل الوحيد من منعها من جلب العار هو التعجيل بالتزوجها. "فارس" زوجها الذي ظنت لبُرهةٍ أنها تخلّصت من "صقر" على يديه، لتجد بعد ذلك نسخة أخرى عنه مع اختلاف التفاصيل، فقط!هل أحبها ربما، حتى وإن لم يتفقا، حتى وإن يفهمها في كثير من الأحيان، حتى لو بدت لها أنها من عالم آخر غير عالمه.

لم يكن فظًا "كصقر" لم يضربها ولم يُهنها كما الآخر، لكن هذا لا يمحي فكرة أنه كان قفصًا آخر وسجنًا آخر، لازمًا عليها أن تتخلص منه إن كان بعد حين.

تثوروتكسر كل القيود وتطالب بحريتها بعد أشهر من زواجها لكن يرفض فارس أن يطلقها خوفا من رجولته وفحولته.

يقول لها«نحن نعيش في بلد صغير وأنت تعرفين كيف يتلقى الناس أمر كهذا»[2].

إذن الخوف الدائم من المجتمع وما يقوله ألسنة الناس وأيضا خوفا من كرمته لكّن كرامة المرأة مسموح أن تداس تحت المسمى الطاعة والولاء للزوج، لكن فاطمة أسرت على الطلاق وإذا أراد بتراضي.

[1]– بثينة العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 02.

[2]– المرجع نفسه، ص 213.

تقول: «نظر إليّ نظرة مودّع، وداعًا يا عزيزي وداعًا. قلبي يخفق بجنون أنت طالق...»[1].

بعد خلافات طويلة ومعاناة مع "فارس" الذي حرمها من الكتابة الشعر ونشره وأخيرًا انتصرت ونالت "فاطمة" حريتها.

لعل هذا هو السبب في فشل أغلب العلاقات الزوجية، لذلك وجب تطوير المؤسسة الزوجية وقيامها على الصراحة والاختيار الحرّ. فالطلاق عند "البطلة" إنتصار وحرية وتحرر.

[1]– بثنية العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 250.

6- تحررالمرأة عن طريق الكتابة (الشعر):

إن الحديث عن لغة الكتابة عند المرأة مبحث جدير بالوقوف عنده والتأمل في تفاصيله خاصة في ظل خوض المرأة معركة يومية للتعبير عن الذات للخروج من جلباب الرجل الذي يحيطها ويضيّق عنها "حرية"، ناضلت لعدّة أشواط من أجل اِحتكاك ما تيسر منها في المجتمع ذكوري يؤمن بأنّ الإبداع والفكر حكر على الرجال وأن النساء "ناقصات عقل ودين". فاحتكر الفكر والعقل واللغة أيضًا.

يقول في هذا الصدد الناقد محمد عبد الله الغذامي في كتابه "المرأة واللغة" «خير الكلام ما كان لفظه فعلا ومعناه بكرًا»[1].

فمن خلال هذا التعريف يعلن عن تقسيم ثقافي ينسب فيها اللفظ في اللغة للرّجل والمعنى للمرأة لتأتي المرأة بعد ذلك معلنة تمرّدها على سيطرة الرجل.

لكننا في ظل ذلك نجد أنّ هناك من التجارب الكتابة النسوية من خرجت عن سطوة قيد الرجل وكتبت بلغة المرأة وكسرت "المحرمات" المفروضة عليها.

ومن هنا طرحت الروائية الكويتية "بثينة العيسى" في روايتها "كبرت ونسيت أن أنسى" قضية الكتابة من خلال البطلة الرواية "فاطمة".

صرخت فاطمة ضد التعتيم والظلام الفكري في عصر العولمة تقول: «في ذات اليوم، أقام صقر الدنيا ولم يعقدها، لأنّه عثر في كتاب أقرأه على كلمة "نبيذ" ... اِنتزع الكتاب مني ومزّقه ثم ألقى به تحت قدميْ... صرت ألملم الأوراق وأنا أعتذر، أقمت لهم قبرًا جماعيًا في أصيص فارغ في حوش البيت، دفنتهم معًا»[2].

[1]- محمد عبد الله الغذامي، المرأة، اللغة، ص 07.

[2]- بثينة العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 84.

من خلال هذا الخطاب ندرك مدى قسوة الأخ الغير الشقيق بمجرد قراءته لكلمة "نبيذ" انقلب الدنيا رأسًا على عقب لأنها ارتكبت ذنبًا بعد هذه الحادثة أصبحت شاعرة في السر خوفا من أخيها.

في خطاب آخر تقول فاطمة: «لقد كتبتُ قصيدة، لقد كتبت قصيدةً، ماذا سأفعل الآن وقد كتبت قصيدة يجب أن أحمي هذا الكائن الصغير، الهش والقابل للكسر، يجب أن أحافظ على حياته مهما كلف الأمر. إذا اكتشف علاقتي الجديدة باللغة... سوف يفسدها سوف يخنق قصائدي»[1].

نفهم من خلال هذا الخطاب خوف فاطمة من أخيها لَوْ يكتشف أنها شاعرة، لأن الشعر جُرْم يجبُ أن يبقى سرًا مُعْلنًا لها وحدها، كانت تخشى على قصائدها من أخيها، تخبئها في علب بداخل علب، تخفيها تحت سريرها، كتبت قصيدتها الأولى على قاع علبه محارم أو في الأماكن التي لن تصل لها أيادي أخيها الظالمة.

تقول "البطلة" «بعد تلك الحادثة صرتُ أقوم بطاعة الكتب المقرصة من الانترنت وأغلفها بغلاف بلاستيكي شفاف في مركز خدمة الطالب وأضع على الغلاف عناوين على شاكلة.

مهارات التفاوض 221. د. أنسي الحاج.

مقدمة في العلوم السياسية 101. د. محمود درويش.

الإدارة وأنظمة الحاسوب 301. د. أمين صالح»[2].

إذن من خلال هذا الخطاب نفهم أنّ "فاطمة" تعاني الحرمان حتى في أبسط حقوقها وهي القراءة حرية المطالعة الكتب التي ترغب بها، بسبب "صقر" لجأت إلى حيلة وهي

[1]– بثينة العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى،، ص 65.

[2]– المرجع نفسه، ص 85.

طباعة كتب أدبية وتغليفها وكتابة عناوين ليس لها أي علاقة بالأدب لأنّ "صقر" يعتبر الأدب والشعر هرطقت وكفر.

تتعرف فاطمة على عصام "الشاعر" وتنشأ بينهم علاقة غرامية عبر الرسائل الإلكترونية فقط تفتح له قلبها ويفتتن بكآبتها وبطريقة كتابتها للشعر فيدعوها لعرض شعرها في الأصبوحة الشعرية، لكنه لم يتوقع أن تكون أصبوحتها الشعرية أبشع يوم في حياتها.

بعد تلك المحاولة صار يقفل الباب ويضعها في سرداب ويفتح لها عند الحاجة فقط.

لكنها تستمر في الكتابة الشعر ويشجعها "عصام" على المزيد من الكتابة دون خوف.

تقول في هذا الخطاب«كلّما ضاقت الزنزانة اتسعت القصيدة»[1].

رغم القيود والمضايقات نجحت في كتابة قصيدتها الأولى في السرّ على قاع علبة كلينيكس، وصارت شاعرة، حلّقت وكتب الصمت وذابت فيه وأصبح العالم لا يتسع لقصائدها.

صار الشعر متنفس فاطمة، تحثّ النساء على المقاومة، يزهرن من الداخل حتى يعمّ النور خارجهن تثور ضدّ زوجها الذي "سمح" لها بكتابة الشعر دون نشره، فهو رمز مجتمع شرفي يرى أن صوت المرأة عورة، وصوت الشاعرة فضيحة فتثور ضدّ الظلم، النفاق وازدواجية المعايير، تقول: «تتسامحون مع القبح، مع ضرب الأطفال واغتصاب النساء، مع الشتم واللعن، مع العنف المنزلي، مع العنصريّة، وتتسامحون مع إسرائيل، مع أمريكا، مع طائفيّتكم، مع فساد الحكومة، مع زواج القاصرات، مع كل شيء!تتسامحون مع هراء العالم كلّه ولكنكم لا تتسامحون مع قصيدة...»[2].

[1]– بثينة العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 111.

[2]– المرجع نفسه، ص 213.

الشعر حرّر "فاطمة"، الشعر يحرر قارئه وكاتبه، الكلمات دائمًا تحررنا من القيود التي تحيط بنا.

نادت بأن تكون الحياة جميلة بطبيعتها وبساطتها.

تقول:«عالم بوسع المرء فيه أن يكون نفسه، أن يشبه ظاهره باطنه، وأن ينسجم، أن يدرس الفرنسية، أن يرسم عصفورًا، أن يكتب قصيدة في النور، أن يجلس وحيدًا، أن يركض في الملاهي أن يلامس البحر بقدميه، أن يمشي إلى البقالة وحيدًا، أن يجالس الأصدقاء في مقهى "لماذا سرقوه؟ لماذا يقتحمني العالم إل هذا الحد؟»[1].

نلاحظ في هذا الخطاب تدعو الروائية من خلال "البطلة" لتحرر المرأة وأيضا دفعها نحو الكتابة بدون أي قيود أو خوف.

وفي نفس الخطاب تقول: «ثمة ما هو غير مفهوم في شعور الضحايا بالعار من كونهم ضحايا، هناك دائما ذلك الصوت اللئيم الذي ينبثق من أعماقك ويردد: ما كان علي أن أخطئ وأصير ضحية لماذا تخجلُ الضحية من القيد في معصميها؟»[2].

إذن هنا طرح "البطلة" مجموعة من الأسئلة تحاول أن تفهم ما يدور في داخلها لماذا تشعر المرأة أنها مظلومة، ولماذا دائما تعتبر هي الضحية الوحيدة في المجتمع.

في نفس السياق تقول:

«قلبي ثقبٌ أسود

يمتصُّ كل شيء

أنا فوهة العدم القاهرة

أنا قيامة العالم»[3].

---

[1]- بثينة العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى، ص 67.

[2]- المرجع نفسه، ص 44- 45.

[3]- المرجع، ص 96.

على الرغم من المعاناة والحرمان اِستطاعت "فاطمة" أن تكتب قصيدتها الأولى وتستمر في الكتابة حتى أصبحت قصائدها لا تسع العالم.

في هذه الرواية أرادت "الروائية" أن تدعوا المرأة إلى التحرر، من هنا على الإنسان أن يدافع عن الشيء الذي يحبه ويرى فيه نفسه، ولا يتركه بسبب تسلط الآخرين وعادات وتقاليد المجتمعات المليئة بالأخطاء والتي لا تسمن ولا تغني من جوع.

نذكر مما سبق تعتبر "فاطمة"من خلال الرواية "كبرت ونسيت أن أنسى" النموذج الفذ، أنها قصة نجاح ملهمة قصة الشعر الذي يهزم التسلط الذكوري قصة فتاة تخوض عبر الشعر صراعًا مفتوحًا على حريتها، شعرها الذي ينادي بقضايا التحرر، جعلتها متمردة على ما أعدت لها الذكورة من مصير، يتسلل شعرها منذ البداية بحقها الطبيعي في الحرية والحب والكتابة.

كانت إراداتها أقوى وسلاحها أقوى، فنجحت في فضح الثقافة الذكورية الإقصائية التي تعاملت مع المرأة بوصفها جسدًا يملكه، قدمت الروائية "بثينة العيسى" من خلال شخصية "فاطمة" كيف ثارت "البطلة" ضد القمع والقمر وكيف لم تستسلم بل قاومت عبر التعلم الذاتي والكتابة الشعر.

وفي الأخير جاءت النهاية سعيدة رجل واِمرأة وكثير من الذاكرة وقليل من النسيان والكثير من الشعر.

لقد قدمت لنا الروائية "بثينة العيسى" الرواية كبرت ونسيت أن أنسى بلغة شعرية.

خاتمـــة

خاتمة:

لقد مكننا هذا البحث من جمع جملة من الاستنتاجات والملاحظات الهامة والمتعلقة بالموضوع من أهميها:

أنّ مصطلح الأدب النسوي مصطلح يتميز بعدم الاستقرار، حيث لا يرضى على مفهوم واحد.

ولعل ما أثار قلقنا هو توضيح ما شاهدته الساحة النقدية والأدبية من تضارب حول مصطلح (الأدب النسائي) وقد حرصت على توضيح هذه الاختلافات وإبراز الجوانب المهمة التي أدت إلى رفضه أو قبوله.

الموقف الرافض كليا تجاه هذا التقسيم وقد عبر عن حساسية خاصة تجاه "الأدب النسائي" حيث يرون أن كلمة" نسائي" موازي لمفهوم حريمي ولا يحدد هويتهن على الإطلاق.

موقف يقر بخصوصية التجربة ويرفض أن تكون هذه الخصوصية نابعة من خصوصية تلازم المرأة.

تبني مصطلح "نسائي" وتوظيفه في الثقافة والأدب العربي من دون وعي منهجي أو نظري لهذا التقسيم على الساحة الإبداعية.

تضارب الآراء حول المصطلحات التالية: "النسائي – النسوي –الأنثوي".

إنّ الكتابة النسائية في المجتمع العربي اختارت أن تكون نصوصها خطابات موجّهة إلى المجتمع الذكوري.

لكن أغلب هذه الكتابات الجريئة لم تأت بسهولة لكن بعد تنازلات وتضحيات كثيرة منهنّ، وذلك لأنهنّ رفعت الستار عن المحظور والمسكوت عنه من ظلام وإجحاف وحرمان واستعباد ضد المرأة.

وكما لاحظنا من خلال قراءتنا للرواية مدى تصوير بثينة العيسى في روايتها "كبرت ونسيت أن أنسى" لقضايا التحرر عند المرأة داخل المجتمع الخليجي خاصة والمجتمع العربي عامة.

إضافة إلى ذلك قدمت لنا الروائية من خلال الرواية معاناة "فاطمة "بطلة الرواية من طرف أخيها وزوجها الذي يعتبر رمز للعنف والسيطرة والظلم في مجتمع الذكوري، ثم كيف تحرر البطلة داخل النص تعبيرًا عن انتقامها لملايين النساء المخدوعات بالسلطة الذكورية وعادات وتقاليد وأعراف حاصرتها وحاصرت وظيفتها الحياتية في جانب ضيق ومحدود باسم الدين.

ولكن في الأخير لم تستسلم بل كسرت كل القيود وحررت نفسها بالكتابة (الشعر)، حيث جعلت الروائية الشعر متنفس "فاطمة" بطلة الرواية.

وهذا نرى أن كاملة بتمردها على العادات والتقاليد قد جاوزت حدود المألوف والمتعارف عليه ولم تشكل لها الاجتماعية أي رادع بل على العكس من ذلك واصلت تمردها وتحديها على العادات والتقاليد لتحقيق رغباتها.

أخيرا تحررت من السلطة الذكورية (الأخ والزوج) والسلطة الدينية ومن والعادات والتقاليد وأيضا تحررها من الزواج بطلاقها من "فارس"، حيث اعتبرت البطلة الطلاق رمز للحرية وانتصار.

فالزواج بدون حب و بدون الرغبة في ذلك يصبح عقيم لا ينتج ولا يدوم طويلا ولا يصلح لاستمرار فهذا الذي يؤدي لطلاق .

وكما نلاحظ تنوع في الشخصيات داخل الرواية وكل واحدة من هذه الشخصيات تمثل النموذج، مثلا: "صقر" يمثل الرجل المتعصب دينيا ، فاطمة تمثل" البطلة " التي سلب حقها من طرف أخيها الغير الشقيق، "حياة"الصديقة الوفية لفاطمة والتي تشجعها على التحرر، وأيضا تمثل المرأة المتحرر والمتمرد على القوانين المجتمع، "فارس" هو زوج فاطمة يمثل

النموذج المتعصب من نوع آخر ولكن يشبه صقر تماما، "عصام" نموذج الرجل المثقف والتفهم لشؤون المرأة.

وفي الأخير فهذه الشخصيات تمثل المجتمع وكما تحمل دلالات داخل الرواية وتلعب دورا مهما بها تتفاعل الأحداث.

قائمة المصادروالمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1.بثينة العيسى، رواية كبرت ونسيت أن أنسى.

المراجع بالعربية:

1. أحلام معمري، إشكالية الأدب النسوي بين المصطلح واللغة، مجلة مقاليد، ع2، ديسمبر 2011.
2. بثينة شعبان، مائة عام من الرواية النسائية العربية 1899- 1999، دار الآداب، بيروت، ط1، 1999.
3. بعد الله الغذامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1996.
4. حسين مناظرة، النسوية في الثقافة والإبداع، دار الكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2008.
5. رشيدة بن مسعود، المرأة واللغة سؤال الخصوصية (بلاغة الاختلاف)، إفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، ط2، 2002.
6. رياضي القريشي، النسوية قراءة في الخطاب المرأة في الغرب، دار حضرت موت لدراسات والنشر، ط1، 2008.
7. زهور كرام، النسائي العربي مقاربة في مفهوم والخطاب، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، الدار البيضاء، 2004.
8. سعيدة بن بوزة، الهوية والاختلاف في الرواية النسائية في المغرب العربي، رسالة دكتوراه، إشراف الطبيب بودربالة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007- 2008.

9. عامر رضا، الكتابة النسوية العربية من التأسيس إلى إشكالية المصطلح الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، معهد اللغة والأدب العربي، المركز الجماعي.ع، الحفيظ بو الطوف، ميلة، ع15، جانفي 2016.

10. نوال سعداوي، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي المؤسس العربية للدراسات والنشر، ط2، 1990.

المراجع المترجمة:

1. بسام موريس، الأدب والنسوية، تر: سهام عبد السلام، مر: سحر صبحي عبد الحكيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهر، ط1، 2002.

2. سارة جميل، النسوية وما بعد النسوية، تر: أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002.

3. سعيد إدوارد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط2، 1992.

4. هالة كمال، النقد الأدبي، سلسلة ترجمات نسوية، مؤسسة المرأة والذاكرة (د.ب)، ط1، 2005.

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان.

إهداء.

مقدمة .....أ ب ج د

الفصل الأوّل:الأدب النسوي بين المفهوم وتعدد المصطلح

I- مفهوم الأدب النسوي 7

II- إشكالية المصطلح 11

1- الأدب النسائي.....14

2- الأدب النسوي 15

3- الأدب الأنثوي 19

II- الأدب النسوي بين الرفض والقبول.....24

الفصل الثاني: قضايا التحرر عند المرأة في رواية "كبتر ونسيت أن أنسى"

تمهيد 29

1- تحرر المرأة من السلطة الذكورية 32

2- تحرر المرأة من المنظومة الدينية.....37

3- تحرر المرأة من العادات والتقاليد والأعراف 42

4- تحرر المرأة من الزواجٍ.....46

5- تحرر المرأة عن طريق الكتابة (الشعر).....51

خاتمة 57

قائمة المصادر والمراجع.....61

فهرس المحتويات 63